

الفصل السادس

فن العمارة في الدولة القديمة
[من الأسرة الثالثة إلى

الأسرة السادسة]

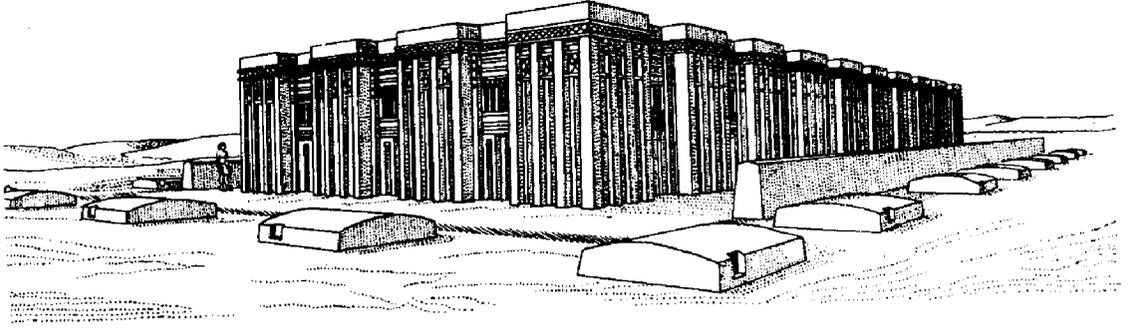


ان ما وعدت به بوادر الحضارة المصرية فى عصر الأسترتين الأولى والثانية، تحقق وتم انجازه فى عصر الأسترتين الثالثة والرابعة. ولكن نظراً لندرة ما وصل إلينا من الشواهد أو الوثائق التاريخية المكتوبة، فليس أمامنا سوى أن نتلمس طريقنا فى تقييم انجازات الحضارة المصرية فى عصر الدولة القديمة خلال الآثار التى تركتها فى المناطق الواسعة بالقرب من «منف». ونعنى بتلك الآثار فى المقام الأول، أعمال العمارة والنحت التى وجدت أو عثر عليها فى خرائب الجبانات الواسعة فى مناطق الجيزة وأبوصير وسقارة ودهشور [الصورة ٥٦].

ومن المؤكد أن فى عصور ما قبل التاريخ فى مصر ظهر العديد من العباقرة المجهولين لنا تماماً.. عباقرة من طراز نيوتن وأينشتاين الذين سبقوا بأفكارهم وخيالهم الزمن الذى كانوا يعيشون فيه، وأضاءوا الطريق أمام تقدم حياة الإنسان إلى آفاق جديدة.

ولسوء الحظ فلم نتعرف على أى واحد من هؤلاء العباقرة المصريين الذين عاشوا فى عصور ما قبل التاريخ. ولكننا لحسن الحظ تعرفنا على واحد منهم عاش فى بداية عصر التاريخ، ونعنى به إيمحوتب [الصورة ٥٧]. الذى تعلم فى هليوبوليس وأصبح وزيراً للملك زوسر [الأسرة الثالثة] (١). وظلت سمعته

(١) هو «نيتزخت-زومتز» مؤسس الأسرة الثالثة. ومن المحتمل أنه كان الأخ الأصغر للملك «نخع سيخموى» [ويعنى اسمه: سطوع القوتين] الذى حكم مصر نحو ١٥ سنة، وكان آخر ملوك الأسرة الثانية. وقد استمر حكم الملك زوسر نحو ٢٩ سنة. ويعتبر أول ملك مصرى بنى لنفسه مقبرتين احدهما فى بيت خلاف بشمال العرابية المدفونة، والثانية بسقارة وهى المعروفة بالهرم المدرج الذى يعتبر من الناحية المعمارية الحلقة الوسطى بين المصطبة والهرم الكامل. وقد قام زوسر بارسال عدة حملات إلى سيناء لاحتضار الفيروز والنحاس وحملت أخرى إلى جنوب بلاد النوبة فيما وراء الجندل الأول [الترجم].



(٥٦)

الصورة (٥٦)

رسم متخيل للمباني والمنشآت العلوية الخاصة بقبر ملكي بسقارة. ومن المعتقد أن هذا القبر كان خاصاً بالملكة «ميرنيت» من عصر الأسرة الأولى [حوالي سنة ٣١٠٠ ق م].

الصورة (٥٧)

إيمحوتب .. وزير الملك زوسر، والمهندس الذي وضع تصميم الهرم المدرج بسقارة وأشرف على بنائه .. وفي العصور المتأخرة [الأخيرة] من التاريخ المصري القديم، اعتبر إيمحوتب حكيماً ثم أصبح لها للطف، وكان من المعتاد تصويره بنفس الوضع الذي يجسسه هذا التمثال البرونزي الصغير الذي يرجع تاريخه إلى العصر المتأخر.. يجلس هكذا رافعاً رأسه وناظراً إلى الأمام، وبرديته مفتوحة ومفرودة على ركبتيه. أما النص المكتوب على قاعدة التمثال فيسجل اسم الشخص الذي أمر بصنعه وكرسه لإيمحوتب.

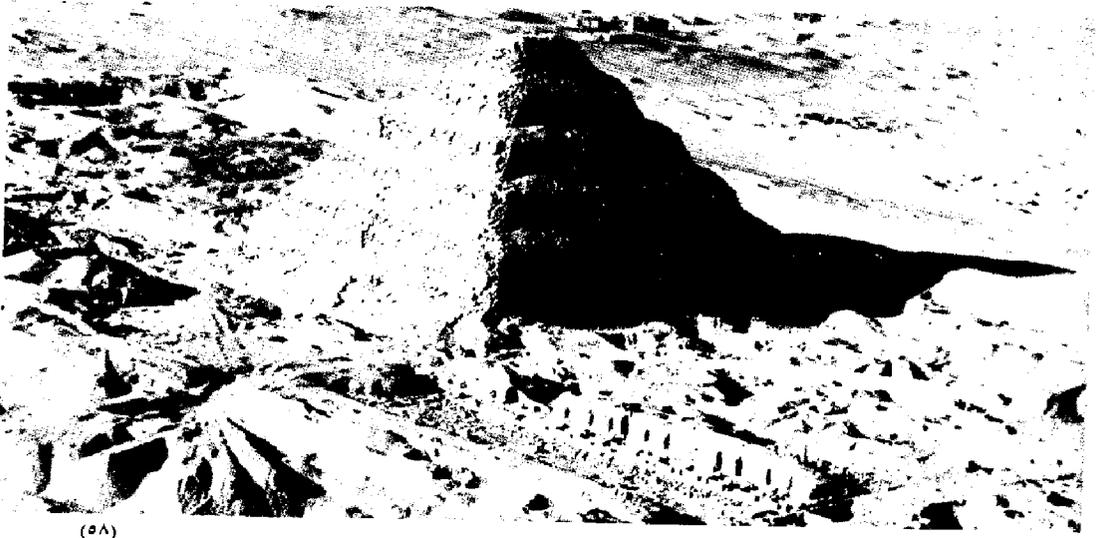
• محفوظ بالمتحف المصري بالقاهرة.



(٥٧)

الحميدة قائمة في العصور التالية حيث وصف بأنه المهندس، والفلكي، والكاهن، والكاتب، والحكيم، وفوق ذلك كله وصف بأنه الطبيب القدير، بل وعبد في بعض العصور المتأخرة باعتباره إلهاً للطف. أما عمله المعروف الخالد، فهو ذلك المبنى الجنائزي العظيم الذي أقامه الملك زوسر، ونعنى به الهرم المدرج بسقارة [الصور ٥٨، ٥٩، ٦٠] (٢).

(٢) ولد المهندس العظيم إيمحوتب في ضاحية من ضواحي منف اسمها «عنخ تاوي». وكان أبوه مهندساً اسمه «كانيفز» وكانت أمه سيدة نبيلة اسمها «خرد وعثخ» تنتمي إلى إقليم مندىس [تل الأمديد حالياً] [المرجم].



(٥٨)

الصورة (٥٨)

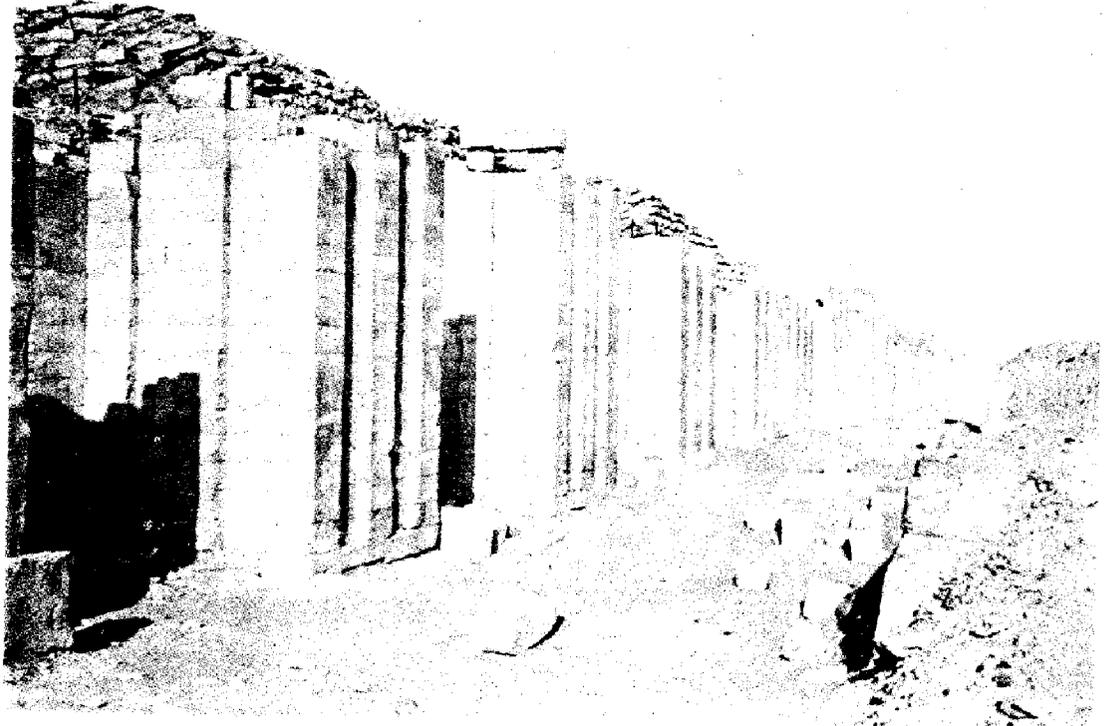
منظر جوى هرم زوسر المدرج بسقارة كما يبدو من الواجهتين الجنوبية والشرقية، ويعتبر هذا الهرم قمة التحف الهندسية التي ابتدعها وصممها المهندس العظيم إيمحوتب في عصر الأسرة الثالثة [٢٦٨٠ ق م]. وتظهر في الصورة بقايا السور الذي كان يحيط بالهرم المقدس للهرم والمنشآت الأخرى الملحقة به.

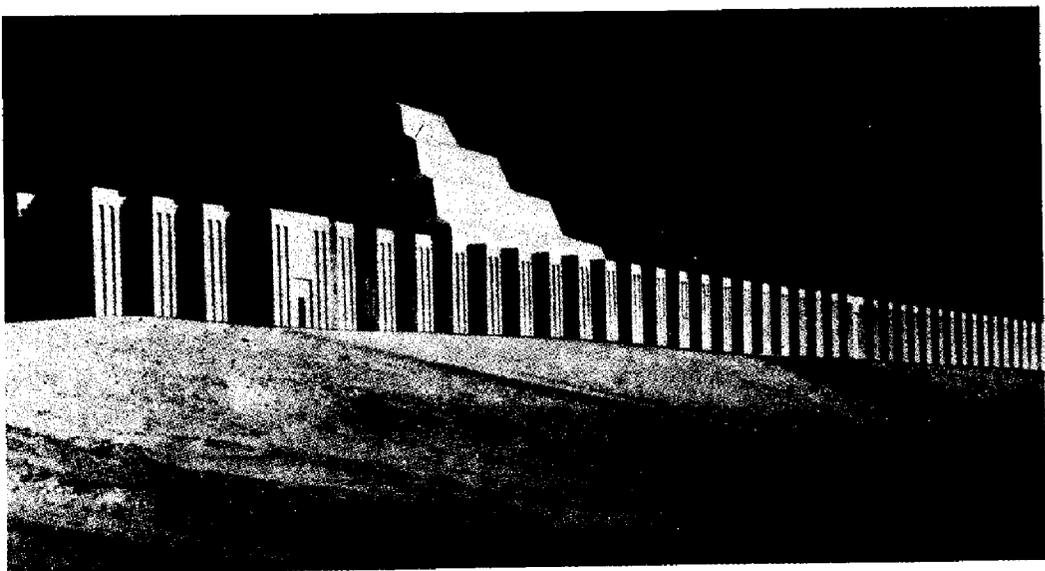
الصورة (٥٩)

السور الذي كان يحيط بالمجموعة الهرمية هرم زوسر المدرج بسقارة. وقد بنى بنظام «الداخل والخارج». وكان يتضمن أربع عشرة بوابة منها بوابة واحدة فقط حقيقية كانت تستعمل للدخول - والخروج - إلى ساحة الهرم. أما البوابات الثلاثة عشرة الأخرى فكانت بوابات وهمية.

• تصوير: بيتر كلابن.

(٥٩)





الصورة (٦٠)

(١٠)

رسم متخيل للسور المحيط بالمرم المدرج بسقارة كما يبدو من الواجهة الجنوبية الشرقية. ونرى البوابة الحقيقية التي كانت تستعمل للدخول والخروج إلى يسار الرسم. كما نرى بقية البوابات الوهمية.
 • من اعداد معهد الفن والآثار بباريس. والصورة بإذن خاص من الدكتور ج لوبر.

فى بداية عصر الأسرات كان نظام تشييد المباني يقوم أساساً على استخدام الطين فى كساء السيقان النباتية التى تشيد بها الأكواخ البدائية، وهى الطريقة التى مازالت متبعة حتى الآن فى بعض الأنحاء الفقيرة من الريف المصرى.

وعندما عرف المصريون كيفية استخدام قوالب الطين وكتل الأخشاب الصالحة لإقامة الأسقف ودعائم الجدران والتى كانوا يستجلبونها من لبنان، تشجعوا فى تغيير وتطوير أنماط البناء وأحجامها خصوصاً بالنسبة للمباني والمنشآت الهامة كالقصور والمعابد. وذلك بالرغم من أنهم قد حرصوا على تزيين وزخرفة تلك المباني والمنشآت التى بنوها بهذه الطريقة الجديدة بزخارف توحى بشكل وتصميم المباني والمنشآت القديمة التى كانت تبنى بالسيقان النباتية المكسوة بالطين.

وقد استخدمت هذه الطريقة الجديدة فى إقامة وإنشاء مباني وبيوت الأحياء والمنشآت العلوية التى كانت تقام فوق «بيوت الأبدية» أى فوق مقابر الموتى.

وفى بداية عصر الدولة القديمة ظهرت بوادر التطور الكبير فى فن العمارة نتيجة لحرص المصريين القدماء على البحث عن مواد للبناء أكثر دواماً وأطول عمراً من

المواد التي كانوا يستعملونها، فاستخدموا الأخشاب وقوالب الطين بدلاً من استخدام الحزم المربوطة من سيقان البردى، والحصير المصنوع من نبات الأسفل أو السَّمَار، والسقوف المقامة بجذوع النخيل أو بالنباتات المكسوة بالطين.

وفي بداية هذا العصر أيضاً بدأ استخدام الحجر في إقامة بعض أجزاء مباني الأحياء خصوصاً الأجزاء الأساسية من تلك المباني، والتي تتطلب الكثير من الصلابة لتحمل كثرة الاستعمال، مثل العتبات وأعتاب النوافذ ودعائم الأبواب. وذلك بالرغم من عدم استخدام الأحجار في إقامة وإنشاء مباني الأحياء بكاملها، حتى ولو أقيمت هذه المباني لأكثر هؤلاء الأحياء رفعة ومقاماً. أما المباني والمنشآت التي كانت تقام للأموات، فقد بدأ استخدام الأحجار في إنشائها بالكامل.

ولعل بداية استخدام الأحجار في إقامة تلك المباني قد نشأ أساساً نتيجة لحرص قدماء المصريين في ذلك العصر على إقامة مبنى للملك المتوفى يبقى فيه أبد الدهر كله. وبالرغم من العثور على بعض النقوش المكتوبة التي تدل على أن ثمة معبد قد بنى كله بالحجر أثناء حكم الملك والد الملك زوسر، إلا أن طريقة وفن البناء بالحجر اعتبرت من الناحية التقليدية منسوبة إلى الوزير إيمحوتب.

■ أهرام سقارة ودهشور:

تتكون مقبرة الملك زوسر من شبكة من الممرات والدهاليز والأبهاء تقع تحت مبنى حجري يتكون من ست مصاطب مستطيلة الشكل وذات جوانب مائلة مبنية فوق بعضها، وتتضاءل كل منها في المساحة كلها اتجهنا إلى أعلى. ويصل ارتفاعها الكلى إلى نحو ٢٠٠ قدم [حوالي ٦٠,٩٦ متراً] [الصورة ٥٨].

ويطل هذا الهرم المدرج على مجموعة من المباني والمنشآت يحيط بها سور يصل محيطه إلى أكثر من ميل واحد [أى أكثر من ١٦٠٩,٣٥ متراً]. كما يصل ارتفاع هذا السور إلى ما يزيد على ٣٣ قدماً [أكثر من ١٠ أمتار] [الصورتان ٥٩، ٦٠].

وتضم هذه المساحة الواسعة مجموعة من الساحات والصروح المبنية بنفس الطراز والتصميم المماثل للمنشآت والصروح الخفيفة التي استخدمها الملك زوسر أثناء

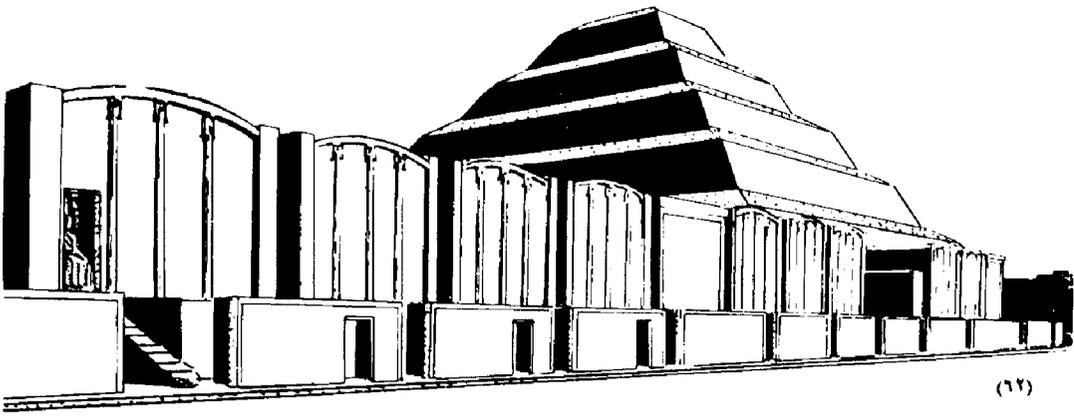
حياته، والتي أقيمت بمناسبة الاحتفالات والطقوس التي كان يؤديها أثناء توليه الملك، سواء الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة اعتلائه العرش أو الاحتفالات التي أجريت في يوبيله الثلاثيني «جِب سِد»، حيث كان الملك يقوم عادة بأداء بعض الطقوس والمراسم مرتين: مرة باعتباره ملك الوجه القبلي فيلبس الرداء الخاص بذلك ويستخدم الشارات والعلامات المميزة لحكام الوجه القبلي. ثم يقوم الملك مرة أخرى بأداء الطقوس والمراسم الخاصة باعتباره ملك الوجه البحري، فيرتدى ملابس أخرى ويستخدم شارات ورموزاً أخرى مميزة لحكام الوجه البحري [الصور ٦٢، ٦٣، ٦٤].

وبالإضافة إلى تلك المنشآت والصروح فهناك أيضاً مبنى المعبد الجنائزي، والسرداب الخاص بتمثال الملك [وهو عبارة عن حجرة صغيرة ضيقة وضع بداخلها تمثال للملك المتوفى، وبأحد جوانبها فتحة يطل منها التمثال على القرايين التي كانت تقدم إليه بحجرة القرايين المجاورة للسرداب] [الصورتان ٦١، ٦٥].

وبالنظر إلى أن الغرض من إنشاء هذه الصروح هو تحقيق أغراض سحرية وليس تحقيق أغراض عملية فعلية، لذلك فإن أغلب هذه الصروح والمنشآت الأخرى عبارة عن «واجهات» فقط أقيمت أمام جدران مصمته تتكون من ركام من الدبش والأحجار غير المصقولة.

الصورة (٦١)

تمثال من الحجر الجيري بالحجم الطبيعي للملك زوسر، عثر عليه بداخل «سرداب» مجاور للهرم المدرج. ويعتبر هذا التمثال واحداً من أهم وأقدم التماثيل الملكية في التاريخ المصري القديم. ونلاحظ أن غطاء الرأس «نيمس» الذي يرتديه فوق «باروكة» من الشعر الكثيف له طية أو حاشية متدلّية ذات طرف مدبب، وهذا الطراز من أغطية الرأس لم يظهر مثله بعد ذلك في التماثيل الملكية التالية لعصر زوسر. أما عينا التمثال الحقيقيتان فقد اقتلعهما اللصوص في أزمنة سابقة. وبالرغم من ذلك فلم يُفِض هذا الاقتلاع من نظرة الإحساس بالقوة ولا من الوفاق الملكي المقدس الذي يجسّمه هذا التمثال. • محفوظ بالمتحف المصري بالقاهرة. تصوير: ماكس هيرمر.



الصورة (٦٢)

رسم متخيل لساحة الاحتفال باليوبيل الخاص بالملك زوسر. وتقع هذه الساحة بداخل السور الذي كان يحيط بالمجموعة الهرمية الخاصة بالهرم المدرج بسقارة. ويتكون السور المحيط بالساحة من مجموعة الواجهات مثل الظاهرة في هذا الرسم. أما جسم هذه الواجهات وخلفها فيتكون من الدبش وكسر الأحجار.

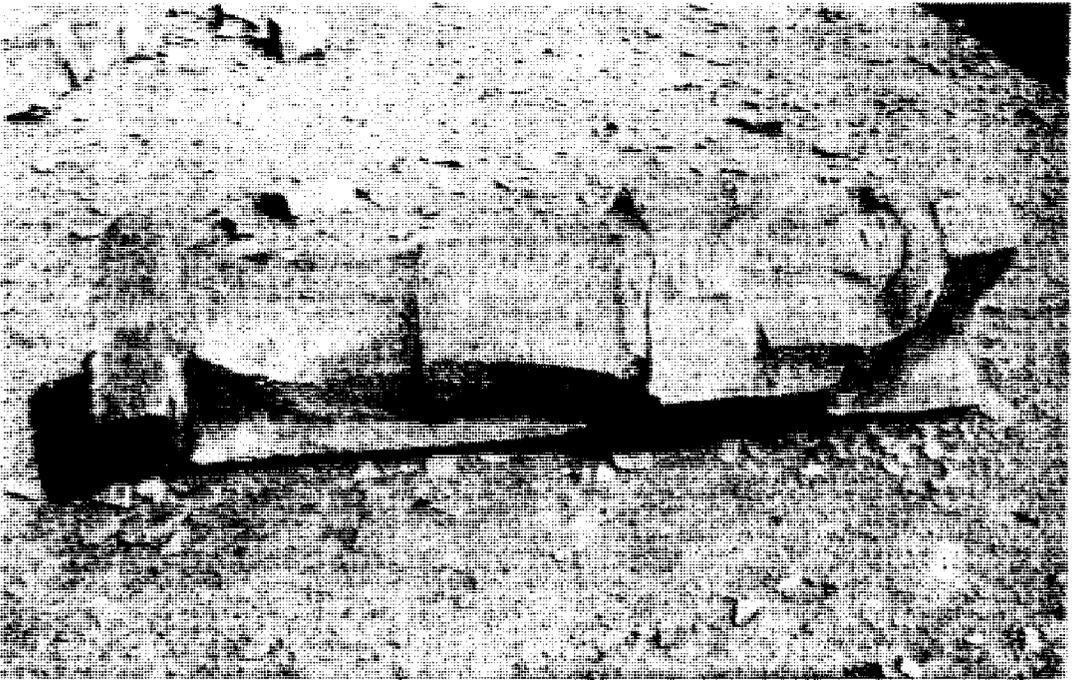
• من رسم سيريل ألدريد عن رسم للور.

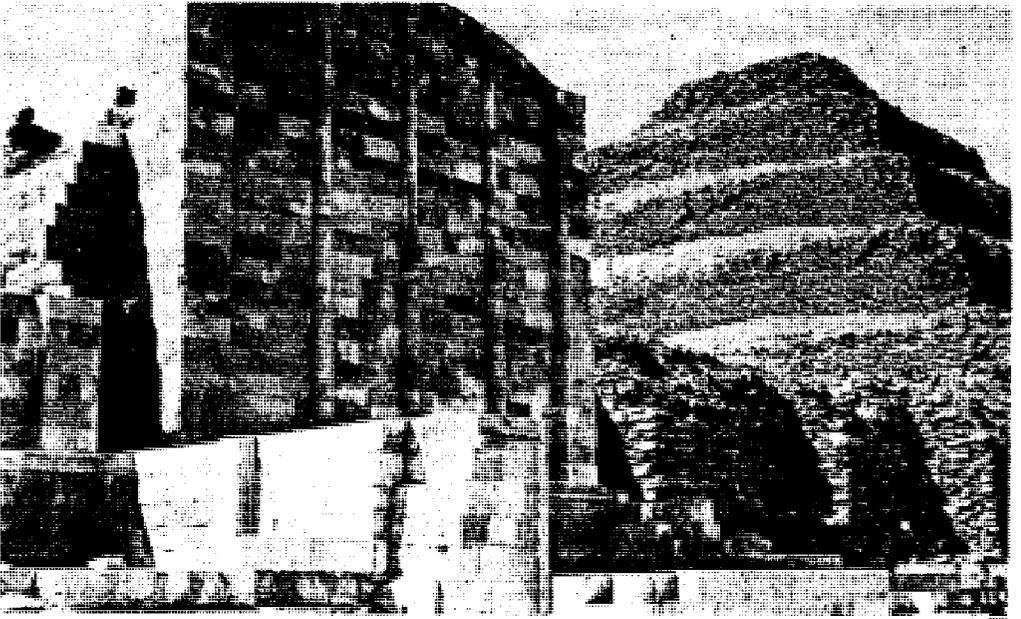
الصورة (٦٣)

في ساحة الاحتفال باليوبيل، عثر على عدة تماثيل للملك زوسر غير كاملة الصنع. ومن هذه التماثيل تنين كيف كان يُقطع ويدق الحجر لتحديد معالم الشكل العام للتمثال قبل نحت الملامح وبقية أجزاء التمثال بطريقة دقيقة ونهائية. وبالنسبة لهذا التمثال نلاحظ أن الملك زوسر كان يضع على رأسه باروكة من الشعر الكثيف، كما يدل التتوء أو البروز الحجري الظاهر فوق الرأس على أن التمثال كان سيوضع ملتصقاً بجدار حائطي.

• تصوير: بينر كلانتون.

(٦٣)





(٦٤)

الصورة (٦٤)

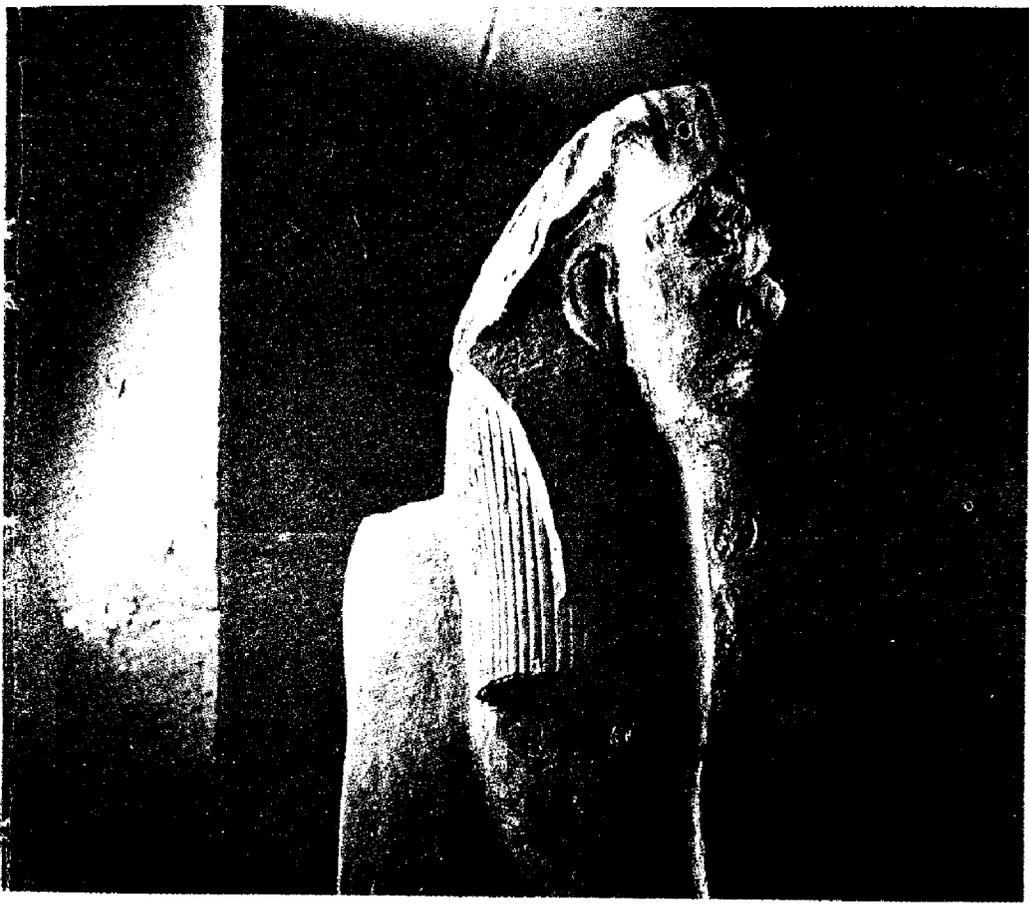
حين كان ج. لوير مديراً لمصلحة الآثار، قامت المصلحة بمشروع استفرق عدة سنوات أجرت خلالها عدة حفائر وكشوفات أثرية في منطقة المجموعة الهرمية للهرم المدرج بسقارة، كما قامت باعادة بناء بعض الأجزاء واعادتها إلى أصلها طبقاً لما كانت عليه في عصرها، معتمدة على الأحجار الأصلية التي كانت متراكمة ومهدمة بفعل الزمن. وقد أعيد بناء إحدى واجهات السور الذي كان يحيط بساحة الاحتفال باليوبيل طبقاً لهذه الطريقة. ونلاحظ أن خلفية هذه الواجهات كانت عبارة عن ركامات من الدبش وكسر الأحجار.

• تصوير: بيتر كلايتون.

كذلك فإن البوابات الأربعة عشرة المقامة على جوانب السور المحيط بهذه المجموعة الهرمية الخاصة بالملك زوسر كلها ببوابات مصممة عبارة عن تقليد ومحاكاة للبوابات الأصلية، وليس بينها سوى بوابة واحدة تعتبر بوابة حقيقية تستخدم فعلاً للدخول أو الخروج.

وبالمثل فهناك محاكاة بنيت بالحجر لتقليد الأبواب الخشبية التي تبدو كما لو كانت مفتوحة للدخول إلى الأماكن المسموح بدخولها، بالإضافة إلى محاكاة حجرية أخرى لبعض الأبواب الخشبية التي تبدو مغلقة لمنع الدخول إلى الأماكن غير المسموح بدخولها [الصورة ٦٦].

ومما لاشك فيه أن هذه الطبيعة الوهمية لهذه المنشآت كانت مسيطرة تماماً على المهندس الذي وضع تصميم هذه البنايات والمنشآت، وعلى البنائين والحجارين الذين نفذوا هذا التصميم، وكان من الواضح تماماً أن الجميع كانوا يشعرون بأنهم

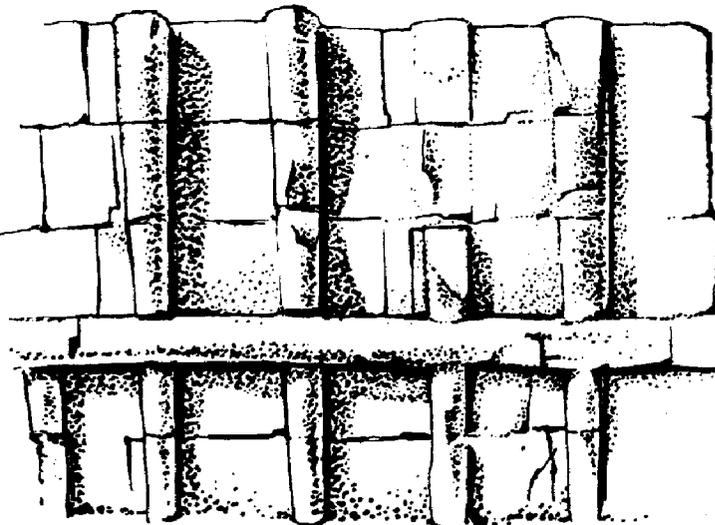


(٦٥)

الصورة (٦٥)

تمثال الملك زوسر كما كان موضوعاً بداخل «السرداب» الملحق بالهرم المدرج بسقارة. وهذا «السرداب» عبارة عن حجرة مظلمة مغلقة بها فتحتان صغيرتان أمام عيني التمثال لينظر خلالها الملك المتوفى إلى القرابين التي كانت تقدم إليه. ونشير هنا إلى أن هذا التمثال عبارة عن تقليد للتمثال الأصلي الذي نقل إلى المتحف المصري بالقاهرة.

• تصوير: بيتر كلايتون.



(٦٦)

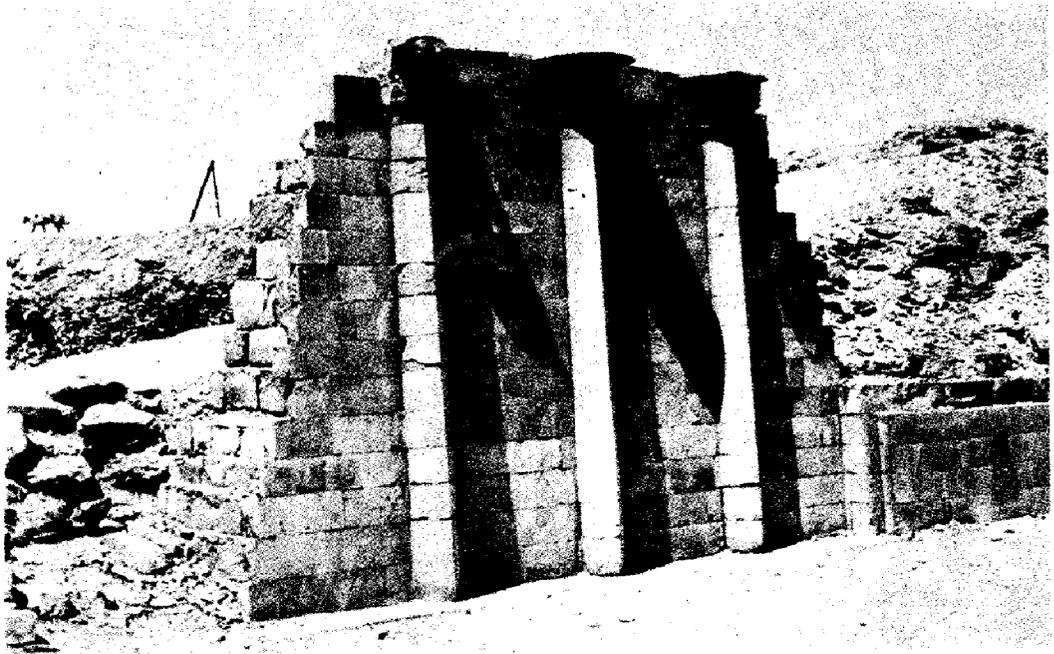
الصورة (٦٦)

رسم توضيحي يبين كيف استعملت الأحجار في عمل السواتر التي كانت تقام على الأوتاد والتي كانت تحول دون الدخول إلى الحرم المقدس لمنشآت الملك زوسر بسقارة.

• عن دريون ولوير.

الحضارة المصرية م •

يقيمون نوعاً جديداً من أنواع البناء، له طراز خاص غير مسبوق من قبل، بل وكانوا يحسون أيضاً بأنهم يستخدمون في البناء مادة جديدة لم يسبق لهم التعامل معها من قبل. فبالنسبة للكثرة الكبيرة من الأحجار نلاحظ أن تسويتها لم تكن على نحو دقيق. أما القطع الصغيرة من الأحجار فقد استخدموها بنفس الطريقة السابقة التي كانوا يستخدمونها في البناء بقوالب الطين. ومع ذلك فقد استطاعوا أن يشكلوا منها ومن البناء ذاته أشكالاً زخرفية مماثلة للمواد النباتية التي كانوا يستخدمونها من قبل. وذلك كترزين الجدران بنبوءات حجرية على شكل حزم وربطات سيقان البردى تمثل أعمدة ذات تيجان على شكل قم رؤوس النخيل. وقد أضفت هذه التشكيلات الحجرية روحاً من الواقعية الحيوية، بالرغم مما تمثله هذه المباني والمنشآت باعتبارها منشآت جنائزية [الصورة ٦٧].



(٦٧)

الصورة (٦٧)

المهندسون والبناءون الذين قاموا بإنشاء المنشآت الخاصة بالملك زوسر بسقارة لم يلزموا أنفسهم بإقامة أعمدة حاملة كاملة الاستدارة من الحجر بعد أن عبروا طريقة البناء التي كانت تستخدم قوالب الطين أو تستخدم حزم البردى المغموسة بالطين. ولذلك فقد قلدوا هذه الأعمدة باستخدام الأحجار، وجعلوها نصف بارزة من الحوائط أو الجدران التي تستند عليها. وتوجد هذه الأعمدة على الجانب الشرقى بشمال الساحة.

• تصوير: بيتر كلابتون.

الصورة (٦٩)

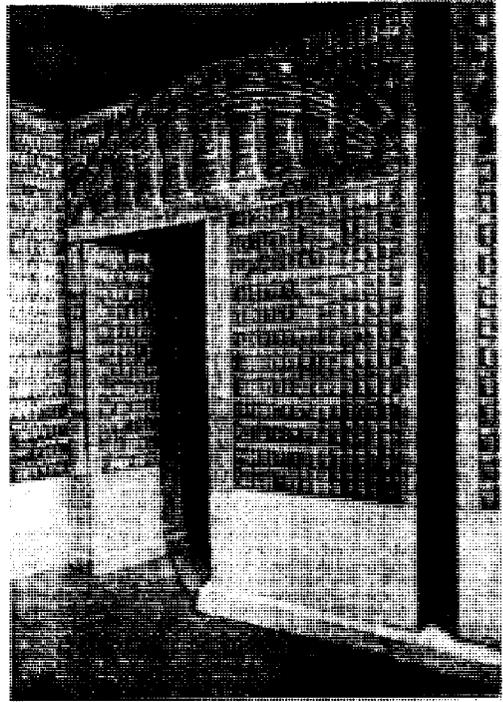
بعض حوائط وجدران المقبرة الجنوبية للملك زوسر كانت مغطاة برقائق من الخزف المزجج المصقول ، تماثل الحصر الملونة التي كانت تزين جدران قصر الملك أثناء حياته الأولى .
• الصورة منقولة من رسم لمسزفيرث ، بإذن خاص من مصلحة الآثار بالقاهرة .



(٦٨)

الصورة (٦٨)

نقش بارز من المقبرة الجنوبية للملك زوسر ، يمثله وهو يجرى بطريقة طقسية أثناء الاحتفال بيوبله « عيد حب-سد » ويظهر الملك وهو يرتدى تاج الوجه القبلى الأبيض ويحمل فى يمينه مدقا أو مضرباً كان يستخدم لدرس الخنطة ، ويحمل فى يسراه حقيبة صغيرة مصنوعة من الجلد . وفوق الملك يرفرف الصقر « حورس » إله إدفو حاملاً علامة الحياة « عنخ » وأمام وجه الملك كتب اسمه الحورسى « نتر إينخت » محمياً بالصقر حورس مرتدياً التاج المزدوج الأبيض والأحمر . ويوجد هذا النقش بداخل كوة بالجدار حوفاً إطار من الرقائق الخزفية الملونة .
• تصوير: ماكس هيرمر .



(٦٩)

وبطبيعة الحال فقد كانت هذه المباني والمنشآت أعجوبة زمانها فى ذلك العصر القديم الذى بنيت فيه وفى جميع الأجيال التالية ؛ كما ظلت محتفظة بهذا الإبهار والإعجاب حتى وقتنا الحاضر ، فلم تسبقها أية أبنية أو منشآت مماثلة لها على وجه الأرض . وما زالت بعض ممراتها الداخلية وحجراتها السفلية تحتفظ بالكثير من الأشياء والمكونات التى ما زالت بحالتها الجديدة الأولى بالرغم من مرور الزمن ،

مثل الاطر التي تزين الجدران الداخلية والحلاة برقائق القرميد المزججة باللون الأزرق اللامع والتي نضدت ونظمت لتحاكى الأشكال الزخرفية التي كانت تزين الحصر الملونة التي كانت تغطي بها جدران الحجرات الداخلية بالمباني التي كان يعيش فيها الأحياء [الصورة ٦٩] والنقوش التي تحاكي التماثيل الضخمة للملك والتي تمثله في وضع الجلوس أو وضع الوقوف. كما يوجد نصب تذكاري نقش عليه بالنحت البارز منظر للملك زوسر وهو يؤدي طقساً رياضياً نشيطاً أثناء احتفالاته باليوبيل الثلاثيني، وتظهر فيه كتابات وعلامات هيروغليفية تبرز معنى الشجاعة والثقة بالنفس [الصورة ٦٨]. كما عثر أيضاً على تابوت لطفل صغير مصنوع من ست طبقات رقيقة من الخشب ملتصقة ببعضها، كما عثر على عشرات الآلاف من الأواني الأنيقة المصنوعة من المرمر أو من حجر البَرِيش الأخضر [وهو نوع من الصخر مؤلف من شظايا زوايا متلاحمة] أو من حجر الكريستال أو من حجر الحية [وهو نوع من الصخر الأخضر مرقط كجلد الأفعى] أو من غير ذلك من الأحجار الغالية الأخرى. هذا بالإضافة طبعاً إلى الكنوز الأخرى التي كانت مخبوءة في تلك المباني والمنشآت والتي نُهبت وسرقت في عصور سابقة.

وما لاشك فيه أن الفلاح المصري الذي كان يعمل في الحقول المجاورة لمنطقة سقارة في تلك الأزمان السابقة، كان لا يعلم شيئاً عن تلك الكنوز المخبوءة بداخل تلك المباني، ولكنه كان يرى السور العظيم الذي كان يحيط بها، ومن خلفه تلك المباني والصورح الضخمة، وذلك الهرم المدرج الأبيض الذي كان يرتفع في صمت إلى عنان السماء. وعندئذ كان مثل هذا الفلاح يحس بيقين شديد أن حكامه هم في حقيقة الأمر آلهة حقيقيون.

وتدل بعض الشواهد الأثرية على أن بعض الملوك الذين خلفوا الملك زوسر مباشرة في حكم مصر، كانت لهم محاولات لم يتمكنوا من اتمامها لإقامة أهرام مماثلة لهرم زوسر المدرج. ومع ذلك فقد تم — في الخمسينات من هذا القرن — اكتشاف مجموعة هرمية خاصة بالملك «سيخْم حِتْ» وهو أحد ملوك الأسرة الثالثة من خلفاء الملك زوسر^(٣). وتقع هذه المجموعة الهرمية بالقرب من المجموعة الهرمية

(٣) في عام ١٩٥٤ اكتشف زكريا غنيم الهرم المدرج الناقص الذي كان مدفوناً تحت الرمال. =

الخاصة بالملك زوسر. ونلاحظ فيها منذ البداية أن بناءها قد تم باستخدام كتل الأحجار دون الاستعانة بقوالب الطين.

ويقع هذا الهرم الجديد المكتشف بالقرب من الجنوب الغربى للمجموعة الهرمية الخاصة بالملك زوسر. ومن الواضح أن بناء هذا الهرم لم يكتمل قبل موت الملك سيخيم نخت الذى يحتل أنه لم يحكم سوى ست سنوات توقف بعدها الاستمرار فى العمل لاستكمال مباني ومنشآت المجموعة الهرمية التى كان الملك ينوى انشاءها، والتى كانت تتضمن بعض الصروح والمعابد وغير ذلك من المنشآت الأخرى.

ويبلغ طول كل ضلع من أضلاع هذا الهرم الناقص نحو ١٢٠ متراً وذلك بقياس أضلاع قاعدة المصطبة الأولى للهرم. حيث لم توجد سوى هذه المصطبة الأولى وبقايا المصطبة الثانية التى تعلوها والتى لم يكتمل بناؤها. ويستدل من هذه المقاسات أن هذا الهرم كان سيتكون - لو تم بناؤه - من سبع مصاطب أى بزيادة مصطبة واحدة على المصاطب الستة التى يتكون منها هرم زوسر المدرج. وبذلك كان ارتفاع الهرم الناقص سيبلغ نحو ٢٣٠ قدماً [أى حوالى ٧٠ متراً] أى بزيادة نحو ٢٦ قدماً [أى ٧,٩ متراً] على ارتفاع هرم زوسر.

ويحيط بالهرم الناقص سور مماثل للسور الذى يحيط بالمجموعة الهرمية الخاصة بالملك زوسر، وإن كان أقل منه من ناحيتى الطول والعرض. ومقاسات هذا السور على وجه التقريب تبلغ نحو ٥٥٠ x ٢٠٠ متراً. ومعنى ذلك أن مساحة الساحة الداخلىة التى يحيط بها هذا السور تبلغ نحو ثلثى المساحة التى يحيط بها سور المجموعة الهرمية الخاصة بالملك زوسر.

وفى منطقة هذا الهرم الناقص لوحظ وجود طريق مائل صاعد من المحتمل أنه استخدم اثناء بناء الهرم، وكان يمتد طولاً ويرتفع علواً كلما استمر ارتفاع مصاطب

= وبمواصلة الحفر اكتشف الكثير من المواد الأثرية منها بقايا ثور وبقايا بعض الطيور والحيوانات الأخرى التى يبدو أنها كانت مقدمة كقرابين، واكتشف مجموعة من الخلى و٦٢ قطعة صغيرة من أوراق البردى هليها كتابات ديموطيقية. كما اكتشف دهليزاً به ١٢٠ غزناً صغيراً تحوى على * أوانى حجرية كاملة وغير كاملة كتب على بعض منها اسم الملك «سيخيم نخت» الذى اعتلى العرش بعد الملك زوسر [الترجم].

الهرم أثناء عمليات البناء. وقد وجدت الكثير من الأحجار المستوية بخشونة على مسافات منفصلة من الركام الذى كان يتكون منه هذا الطريق الصاعد.

أما الأحجار التى استخدمت فى بناء هذا الجزء المكتشف من الهرم الناقص، فقد استخرجت من المحاجر المحلية التى تقع فى غرب موقع الهرم.

وقد تم اكتشاف هذا الهرم المدرج الناقص بمعرفة المرحوم زكريا غنيم [فى سنة ١٩٥٤] الذى أدت حفائره إلى اكتشاف ممرات سرية تحت قاعدة الهرم كانت تؤدى إلى حجراته الداخلية. كما عثر المكتشف على مجموعة من الأوانى الحجرية والخزفية مختمة بأختام من الطين تحمل اسم الملك سيخيم حيث الذى لم يكن معروفاً أو كانت له آثار ظاهرة حتى ذلك الوقت.

كذلك فقد عثر على خبيثة من الحلى والمجوهرات التى يرجع تاريخها طبعاً إلى عصر الأسرة الثالثة. وتتكون هذه الخبيثة من واحد وعشرين سواراً ذهبياً من مقاسات مختلفة، ومن زوج من الملاقط مصنوع من الإلكترولوم [وهو خليط من الذهب والفضة]، بالإضافة إلى عقد مصنوع من الذهب وصندوق صغير مصنوع من الذهب على شكل محارة صدفية.

وفى حجرة الدفن البنية تحت قاعدة الهرم الناقص عثر المكتشف على تابوت مصنوع من قطعة واحدة من المرمر^(٤). ويتميز هذا التابوت الفريد بوجود باب منزلق فى أحد جوانبه بداخل مجرى بحيث يمكن رفعه إلى أعلى أو خفضه إلى أسفل [الصورة ٧٠]. وعندما قام المكتشف بفتح هذا التابوت، فوجيء بأنه فارغ ولا يتضمن مومياء الملك، الأمر الذى أدى إلى تقرير أن حجرة الدفن ليست سوى ضريح أو نصب تكريمى لشخص دفن فى مكان آخر Cenotaph. أما مومياء الملك فقد قرر المكتشف أنها مدفونة فى مكان آخر تحت هذا الهرم الناقص أو بالقرب منه.

(٤) تقع حجرة الدفن بهرم «سيخيم حيث» المدرج الناقص على مسافة ٧٢ متراً من مدخل الهرم. وهى مستطيلة الشكل طولها ٨,٢٠ متراً وعرضها ٥,٢٢ متراً وارتفاعها ٥ أمتار. أما التابوت المصنوع من المرمر فيبلغ طوله ٢,٣٧ متراً وعرضه ١,٤٠ متراً وارتفاعه ١,٨٠ متراً [المترجم].

ولكن عالم المصريات م. ج. لوير بعد أن قام ببعض الدراسات على آثار المنطقة، قرر أن حجرة الدفن بهذا الهرم قد اقتحمت ونهبت في عصور قديمة سابقة، كما قرر أن البقايا النباتية التي وجدت موضوعة فوق هذا التابوت لم تكن بقايا متأكدة لإكليل جنازى من الزهور وضع أثناء عملية دفن الملك كما كان يظن من قبل، وإنما هي بقايا العصا الخشبية التي استعملها اللصوص القدماء أثناء اقتحامهم للمدفن الملكى. وعلى أية حال فإن هذا الهرم مازال فى حاجة إلى اجراء المزيد من الحفائر والدراسات الأثرية.

وقد قام العالم لوير بإجراء بعض المحسات وحفائر سبر الأعماق فى نفس المنطقة فى موسم ١٩٦٢ - ١٩٦٣ واستدل منها على وجود بقايا آثار شديدة التخريب لعدد من المباني والمنشآت المماثلة للمباني والمنشآت الموجودة بداخل المجموعة الهرمية للملك زوسر، ولكنه توقف عن الاستمرار فى هذه الاكتشافات بسبب نقص الاعتمادات المالية اللازمة.



(٧٠)

الصورة (٧٠)

التابوت المصنوع من الألبستر والخاص بالملك «سيخْم حِتْ» حيث عثر عليه بحجرة الدفن أسفل الهرم الناقص. ونلاحظ وجود السدادة المنزلة التى كانت تغلق التابوت وهى نصف مرفوعة إلى أعلى. كما نلاحظ وجود بعض المواد النباتية وقطعة من الرافعة الخشبية وجدت فوق التابوت.

وعلى ذلك يمكن القول بأن استخدام الأحجار الضخمة فى إنشاء المباني والمنشآت الجنائزية قد بدأ فى عهدى الملكين زوسر وسيخم حيث من ملوك الأسرة الثالثة، وأن استمرار هذه الطريقة فى البناء تواصل فى عهود خلفائهما من ملوك مصر الآخريين، خصوصاً ملوك الأسرة الرابعة الذين أقاموا العديد من المباني والمنشآت الهرمية المماثلة فى مناطق دهشور^(٥) وميدوم^(٦) والجيزة [الصورة ٧٦]. وليس هناك أدنى شك فى مدى تأثير كهنة هليوبوليس على استمرار هذه الطريقة فى استخدام الأحجار فى بناء الأهرام، وذلك بالنظر إلى أن الشكل الهرمى كان ذا دلالة كبرى فى عقيدة عبادة رع إله الشمس التى كانت سائدة فى هليوبوليس. وذلك بالرغم من أن الأهرام التى بنيت فى كل من دهشور وميدوم كانت ذات طرز وأشكال غير عادية بمقارنتها بالشكل الهرمى الكامل.

وتدل بعض الكتابات التى يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الرابعة على أن الملك سنفرو^(٧) وهو أحد ملوك هذه الأسرة قد قام ببناء هرمين: أحدهما هو ما يسمى بالهرم المنحنى الذى يقع بمنطقة دهشور، وقد نسب إليه على نحو مؤكد طبقاً للدلائل الأثرية التى وجدت مكتوبة على بعض منشآت المنطقة وعلى نصب تذكارى عثر عليه أيضاً بنفس المنطقة المحيطة بهذا الهرم. وتدل هذه الشواهد

(٥) تقع دهشور إلى الجنوب من سقارة. وبها جبانة أثرية واسعة تضم العديد من المقابر التى يرجع تاريخها إلى عصر الدولة القديمة وعصر الدولة الوسطى. وبها خمسة أهرام، اثنان منها للملك سنفرو، وثلاثة للملك الدولة الوسطى [المترجم].

(٦) تقع ميدوم بمحافظة بنى سويف. وبها الهرم المعروف باسمها. وهو الهرم الذى بدأ بناءه الملك حونى وأكمه الملك سنفرو. وتوجد حوله جبانة للنبيلاء بها عدة مقابر أهمها مقبرة «يغيز ماعيت» ومقبرة الأمير «رع حيتب» وزوجته الأميرة «نمرت» [المترجم].

(٧) هو مؤسس الأسرة الرابعة. وأصبحت مصر فى عهده مستقرة كمملكة متحدة متحدة الأركان، وفى يد الملك تركزت كل الأمور. ومن الناحية الإدارية ابتدع وظيفة حاكم المقاطعة الذى كان يلقب بـ «الأول بعد الملك». وكانت هناك ٢٢ مقاطعة فى الوجه القبلى و٢٠ مقاطعة فى الوجه البحرى. وكان حاكم كل مقاطعة مسئولاً أمام الملك مباشرة، بالرغم من أنه كان يستعين فى أداء وظيفته بعدد كبير من الموظفين ورجال القضاء والشؤون المالية. وفى عهد الملك سنفرو أوفد أسطولاً مكوناً من ٤٠ سفينة بحرية عادت حاملة بأخشاب الأرز من لبنان. كما أرسل حلة إلى بلاد النوبة وعدة حملات للتعدين فى سيناء. وقد عرف سنفرو فى التاريخ المصرى باسم «الملك العادل الرحيم» و«الملك المحسن» و«الملك المحبوب» [المترجم].



(٧١)

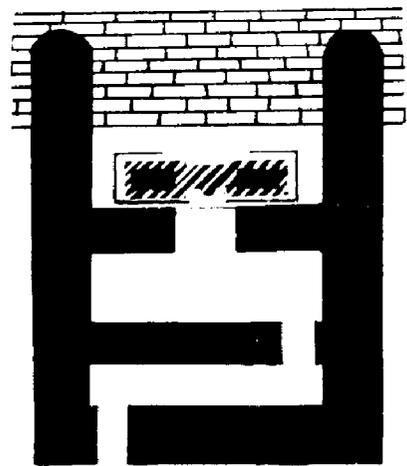
الصورة (٧١)

صورة من الجوهر ميدوم [٢٦٣٠ ق م] ويبدو قائماً فوق تل على شكل قمى. وهذا التل مكون بصفة رئيسية من انقاض الكساء الخارجى للهرم الذى تهدمت أحجاره وتساقطت فى الأزمنة القديمة. ويظهر فى الصورة المعبد الجنائزى الصغير الذى حفظ جيداً لأنه كان مدفوناً على عمق كبير تحت الانقاض وركام الأحجار. [بالنسبة لكروكى هذا الهرم انظر الشكل (ب) من الصورة ٧٦].

الصورتان (٧٢)، (٧٣)

المعبد الجنائزى الصغير الملحق بهرم ميدوم، وهو مبنى كلبية من الحجر الجيرى المجلوب من منطقة طرة، وتبلغ مساحته حوالى ٣٤ قدماً مربعاً [١٥,٣٦ متراً مربعاً] وأقصى ارتفاعه ٩ أقدام [٢,٧٤ متراً]. ويقع مدخله بالجهة الجنوبية بين جدارين متوازيين بزوايتين قائمتين. ويؤدى المدخل إلى حجرتين متوازيتين ومتداخلتين. وبين هذين الجدارين نلاحظ وجود مذبح منخفض يقع بين قائمتين حجريين على شكل النصب التذكارية والطرف الأعلى لكل منها مستدير، وهما منحوتان من الحجر الجيرى وخاليان تماماً من أية كتابة، كما أن الجانب السفلى من المعبد يدل على أن البناء قد توقف أثناء تشييده، بالإضافة إلى أن هذين القائمتين الحجريين كان من المفترض أنها من النصب الجنائزية التذكارية الخاصة بالملك، وكان من المفترض أيضاً أن يكتب عليها اسم الملك وألقابه.

• الرسم الكروكى من اعداد الدكتور أحمد فخرى.



(٧٢)

شمال →

الأثرية أيضاً على أن هذا الهرم قد عُرِف في تلك الكتابات باسم «الهرم الجنوبي للملك سنفرو»^(٨) [الصورة ٧٤]. أما الهرم الشمالي^(٩) الذى يعتقد أنه منسوب أيضاً إلى الملك سنفرو، فيقع على بعد نحو ميل واحد فى اتجاه الشمال من هرمه الجنوبى .

ويقول بعض الدارسين للآثار المصرية أن الملك سنفرو قد بنى أيضاً هرمًا ثالثًا يقع فى منطقة ميدوم جنوب الهرم المنحنى بدهشور [الصور ٧١، ٧٢، ٧٣]. وبالرغم من أن هذا القول يبدو مقبولاً بما يؤيده من الشواهد الأثرية، إلا أن هناك تفسيراً معقولاً آخر يمكن الأخذ به . فقد ظل الاعتقاد قائماً بأن هرم ميدوم هذا منسوب إلى الملك «حونى»^(١٠) وهو سلف غامض للملك سنفرو . ومع ذلك، وبسبب تماثل طريقة بناء هذه الأهرام الثلاثة، فقد قيل أن الملك سنفرو هو الذى تولى أمر بنائها كلها، ولكن يمكن القول مع ذلك بأن الملك سنفرو هو الذى أكمل بناء هرم ميدوم الذى شرع فى بنائه سلفه الملك حونى، وأن سنفرو قد توسع فى بناء واستكمال هذا الهرم .

والشكل الحالى لهرم ميدوم يبدو غريباً بمقارنته بأشكال الأهرام الأخرى، فهو يقف قائماً فوق تل قمى تكون غالباً من ركام الأحجار التى تساقطت من الأجزاء العليا للهرم، ومن كسوته الخارجية . وهناك أمل كبير فى حل الكثير من مشاكل

(٨) قاعدة الهرم المنحنى مربعة، وطول كل ضلع من أضلاعها ١٨٨,٦٠ متراً . ويصل ارتفاع الهرم إلى ١٠١,١٥ متراً . وزاوية ميله هى ٥٤ درجة و ٣١ دقيقة و ١٣ ثانية حتى ارتفاع ٤٩,٠٧ متراً . ثم تتغير زاوية الميل بعد ذلك حتى القمة إلى ٤٣ درجة و ٢١ دقيقة [الترجم] .

(٩) وهو هرم ضخم يكاد ينافس فى حجمه هرم خوفو . ويبلغ طول كل ضلع من أضلاع القاعدة نحو ٢٢٠ متراً ويبلغ ارتفاعه ٩٩ متراً وزاوية ميله ٤٣ درجة و ٤٠ دقيقة، وهى زاوية تقل كثيراً عن زوايا ميل معظم الأهرام الأخرى [الترجم] .

(١٠) من المرجح أن الملك «حو» أو «حونى» كان السلف المباشر للملك سنفرو . وقد استمر حكمه نحو ٢٤ عاماً على أقل تقدير . وقد بدأ هذا الملك فى بناء هرمه فى منطقة ميدوم ولكن يبدو أنه مات قبل أن يكتمل قيام سنفرو بهذا العمل الأمر الذى أدى إلى وقوع بعض المؤرخين وعلماء الآثار فى الخطأ ونسبوا هذا الهرم إلى الملك سنفرو . وكان الارتفاع الأسمى لهذا الهرم ٩٢ متراً وطول كل ضلع من أضلاع قاعدته المربعة ١٤٤ متراً . وزاوية ميله ٥١ درجة و ٥٣ دقيقة . وعلى أية حال فالأمر مازال يحتاج إلى إجراء المزيد من الحفائر لإزالة الرديم المحيط بقاعدة الهرم لمعرفة أصول عمارته وحقائق تاريخه [الترجم] .

وغوامض فن العمارة الذى ساد فى الأسرة الرابعة عند إجراء المزيد من البحوث الأثرية بعد إزالة هذا الركाम المحيظ بهرم ميدوم، وإجراء المزيد من البحوث والحفائر الأثرية فى المنطقة المحيطة به. وعندئذ سيتأكد على نحو قاطع معرفة اسم صاحب هذا الهرم.

والجدير بالذكر أن العالم مارييت قد عثر فى قبر مجاور لهرم ميدوم على التمثالين الرائعين الشهيرين للأمير رع حوتب وزوجته الأميرة نفرت [الصورة ١٠٥].

ويعتبر الهرم الشمالى للملك سنفرو الذى يقع بمنطقة دهشور أول الأهرام التى اتخذت الشكل الهرمى الكامل حيث تنحدر جوانبه المائلة بزواية قدرها ٤٣°، ٣٦°. وهى زاوية تختلف عن مقاس زاوية الأهرام التى بنيت بعد عصر سنفرو والتى تبلغ غالباً نحو ٥٢ درجة.

وبالقرب من هذا الهرم الشمالى توجد مجموعة من المصاطب الخاصة بمقابر اعضاء البلاط وكبار الموظفين الذين كانوا مقربين للملك سنفرو، كما عثر على نقوش مكتوبة فى عصر تال يرجع تاريخها إلى العام الحادى والعشرين من حكم الملك بيبي الأول (١١) تقرّر صدور قرار أو مرسوم ملكى باعفاء «هرمى سنفرو» من بعض الضرائب، الأمر الذى يفهم معه نسبة هذا الهرم الشمالى إلى الملك سنفرو دون غيره.

أما الهرم الجنوبى، وهو الهرم المنحنى، فهو فريد فى شكله كما هو فريد فى تصميمه [الصورة ٧٤]، فهو يتضمن مدخلين منفصلين، يقع الأول منها فى منتصف الواجهة الشمالية للهرم، وعلى ارتفاع نحو ٤٠ قدماً [نحو ١٢,٢٠ متراً] فوق سطح الأرض. ويقع المدخل الثانى على بعد نحو ٤٥ قدماً [نحو ١٣,٧٢ متراً] من منتصف الواجهة الغربية لهذا الهرم.

وهذا المدخل الأخير الذى يقع بالواجهة الغربية للهرم الجنوبى للملك سنفرو، يعتبر الاستثناء الوحيد المعروف فى جميع الأهرام التى بنيت فى عصر الدولة القديمة والتى تقع مداخلها بالواجهات الشمالية لهذه الأهرام بصفة عامة.

(١١) من ملوك الأسرة السادسة [الترجم].

ويؤدى كل مدخل من هذين المدخلين إلى غرفة منفصلة ، حيث يؤدى المدخل الشمالى إلى غرفة منحوتة تحت مستوى الأرض ، بينما يؤدى المدخل الغربى إلى حجرة أخرى على مستوى الأرض تقع عند الركن الجنوبى الشرقى للغرفة السفلية . وثمة ممر ضيق يصل بين هاتين الغرفتين ، ويوجد بأعلى السقف المُطَنَّف للغرفة السفلية [الصورة ٧٥] .

وأخيراً نشير إلى أن الكثير من المشاكل والمسائل الغامضة المتعلقة بهذه الأهرام الثلاثة بمنطقتى دهشور وميدوم ليست مستعصية أو مستحيلة الحل ، وإنما يلزم اجراء الكثير من البحوث والحفائر حتى يمكن الوصول إلى الحقائق المؤكدة على نحو قاطع (١٢)

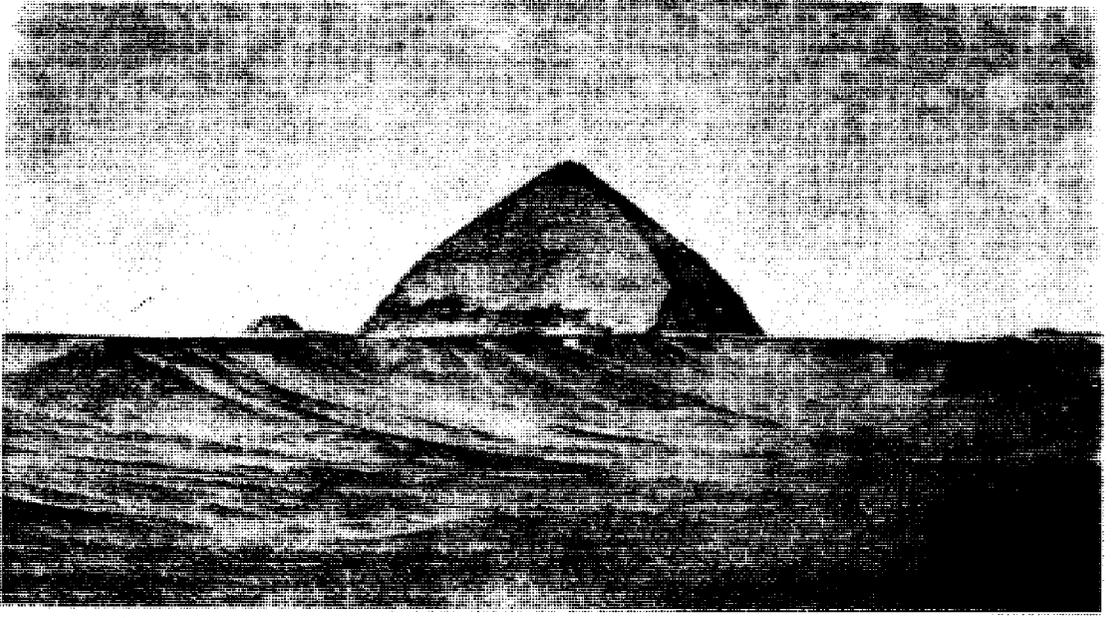
■ أهرام الجيزة

أما القمة التى وصل إليها تطور فن العمارة فى الدولة القديمة فتتمثل فى الهرم الأكبر الذى بناه الملك خوفو(١٣) فى منطقة الجيزة [الصورة ٧٧] .

وكان الوزير «جِمُّ يُؤنُو» ابن عم للملك ، وكان بحكم وظيفته مشرفاً على أعمال الملك ، وبالتالي كان المسئول الأول الذى أنيط به تنفيذ بناء هذا الأثر العظيم الذى بلغ أعلى درجة مدهشة من الدقة التى نفذت وتحققت بأبسط

(١٢) فى ابريل ١٩٨٩ ، عثرت بعثة أمريكية للتنقيب على الآثار ، على تمثال من المرمر للملك سنفرو ، وذلك بجوار هرم «سيلا» بمنطقة الفيوم . ويمد هذا الكشف الأثرى على درجة كبيرة من الأهمية . وقد بدأ العلماء فى إجراء الدراسات لمعرفة السر فى وجود تمثال للملك سنفرو فى هذه المنطقة [المترجم] .

(١٣) بالرغم من شهرته العريضة فى التاريخ القديم والحديث باعتباره صاحب الهرم الأكبر الذى كان ومازال إحدى عجائب ومعجزات الدنيا فإننا لانعرف عن تاريخه إلا القليل . وهو ابن الملك سنفرو ، واسمه المصرى القديم بالكامل هو «خنوم خوفوى» ولكنه اختصر قديماً إلى خوفو . وقد بلغت مصر فى عهده إلى قمة فى الإمكانيات المادية والكفايات الفنية . وقد عُثر على اسمه منقوشاً على حجر للديوريت يقع فى منطقة جنوبية بعيدة فى عمق الصحراء الغربية شمال شرق أبو سمبل ، حيث نقلت منها الأحجار التى استخدمت فى رصف وتبليط معبده الجنائزى وفى عمل ١٤ تمثالاً له تمثله واقفاً ولكن هذه التماثيل كلها قد حطمت ولم يبق منها سوى بقايا متناثرة صغيرة . كما وجد اسمه أيضاً منقوشاً ضمن أسماء ملوك مصريين آخرين سبقوه أو خلفوه على جدران معبد أثرى قديم فى ميناء جبيل بلبنان .



(٧٤)

الصورة (٧٤)

الهرم المنحني بدهشور [٢٦٠٠م] كما يبدو من واجهته الشرقية. وكان من المفروض أن يتم بناء هذا الهرم طبقاً لزاوية ميل أضلاعه التي تبلغ ٥٤ درجة، ولكن الزاوية تغيرت فجأة وأصبحت ٤٢ درجة، الأمر الذي يعتقد معه أن تكلفة بناء هذا الهرم قد تمت بسرعة. ونلاحظ أن الكسوة الخارجية لهذا الهرم وللأهرام الأخرى بصفة عامة كانت تنسج من الحجر الجيري المجلوب من منطقة طرة على الضفة الشرقية للنيل، وهو حجر جيد ساعد في صيانة الأهرام ومنعها من التهدم أو الانهيار.

• تصوير: بيتر كلايتون.

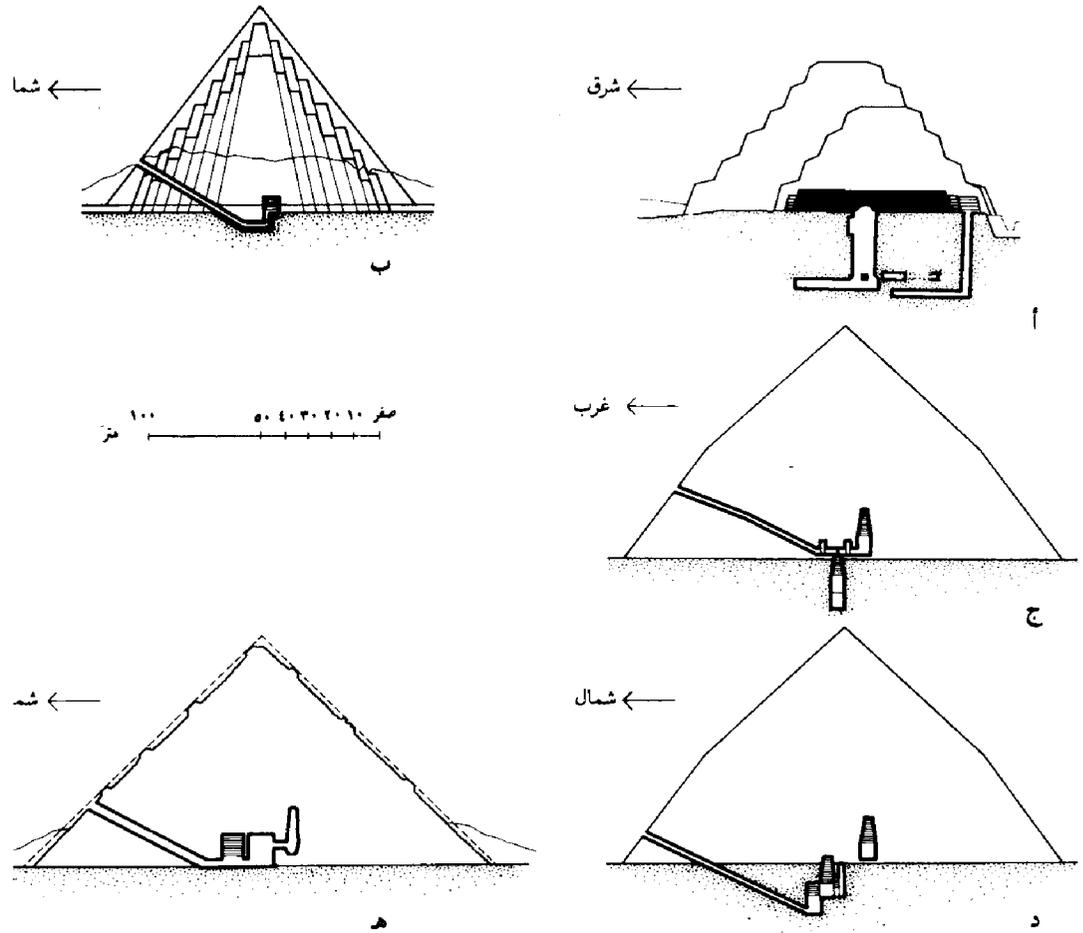


الصورة (٧٥)

سقف الحجر السفلية بهرم دهشور، وهو مبني بطريقة «الطُف» أي أن المستوى الأعلى من الجدار يبرز قليلاً عن المستوى الموجود أسفله، وهكذا تبرز أطراف المستويات كلما ارتفعنا إلى أعلى، إلى أن تضيق المسافة بين المستويين العلويين من الجدار فيصبح من السهل تغطيتها بحجر واحد أو أحجار عدة لسد الفجوة أو المسافة بين الجدارين فيكتمل بهذا سقف الحجر.

(٧٥)

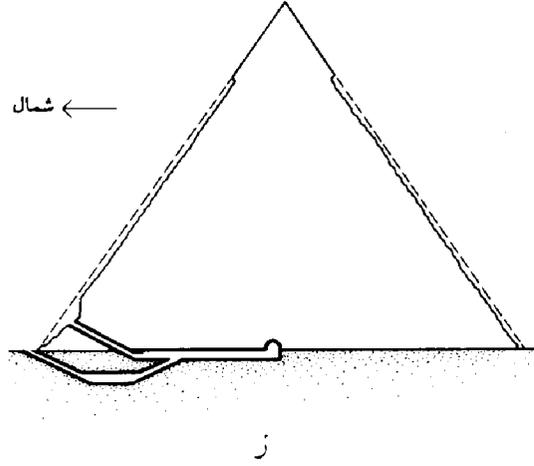
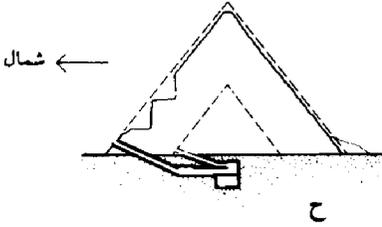
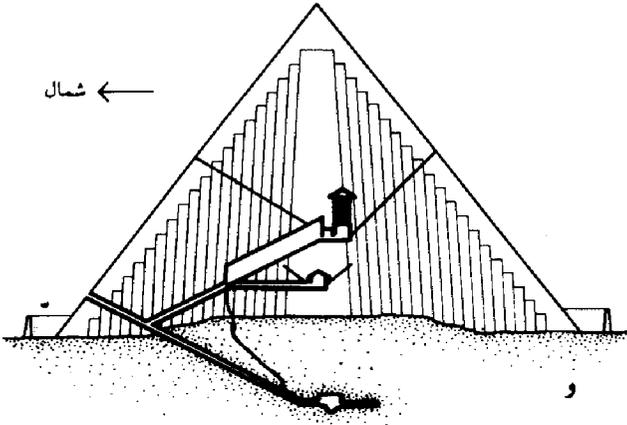
• تصوير: بيتر كلايتون.



(٧٦)

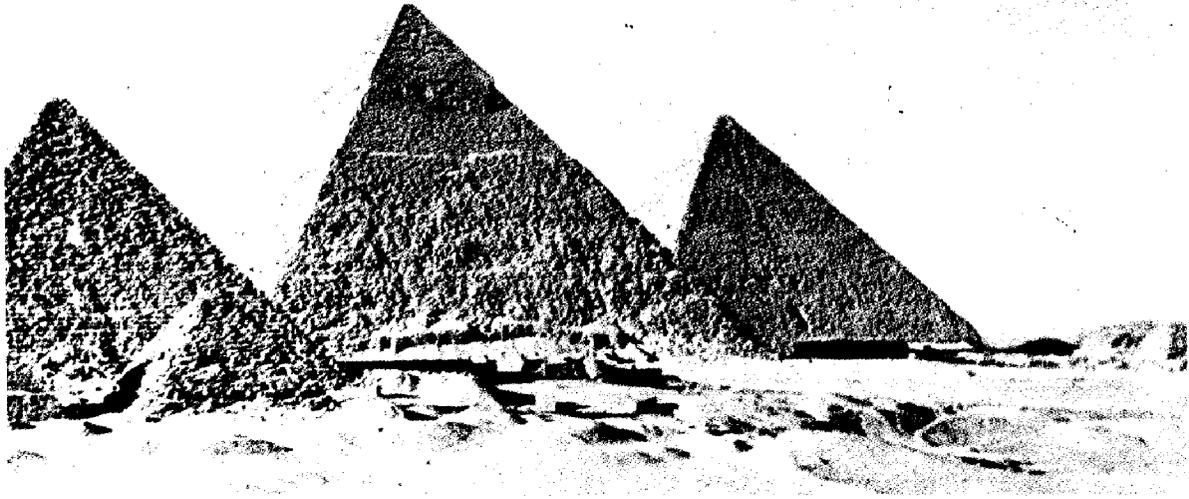
الصورة (٧٦)

قطاعات هندسية لبعض الأهرام الرئيسية التي بناها ملوك الأسرتين الثالثة والرابعة، رسمت كلها بمقياس رسم واحد لتحديد النسبة بين حجم كل هرم وآخر. (أ): هرم زوسر المدرج بسقارة. (ب): هرم ميدوم للملك حوني «؟». (ج)، (د): الهرم المنحني بدهشور لملك سنفرو. (هـ): الهرم الشمالي للملك سنفرو بدهشور. (و): الهرم الأكبر بالجيزة للملك خوفو. (ز): هرم خفرع بالجيزة. (ح): هرم منكاروع بالجيزة. ومن المعلوم أن ملوك الدولة القديمة قد بنوا أهراماً أخرى في منطقتي أبو رواش وأبوصير [أنظر الصور ٩٠-٩٣] ولكن معظم هذه الأهرام ومنشأتها الملحق بها قد تخرت تماماً، كما أن بعضها الآخر لم يكتمل بناؤه، أو تنقصه العظمة الملكية، كما أن نسبة بعضها إلى ملوك معينين من الدولة القديمة تعتبر محل شك.



الوسائل . وقد عثر على تماثال «جِمّ إيونو» بداخل مقبرته بالجيزة ، وتظهر في هذا التمثال ملامح الذكاء ودلائل العبقرية التي كان يتمتع بها هذا المهندس المعماري العظيم [الصورة ٨٠] (١٤) .

(١٤) من المحتمل أن يكون الأمير المهندس «حم إيونو» ابن أخ للملك خوفو أو ابن عم له . ومن القابه المعروفة انه : المهندس الملكي ومدير أعمال المنشآت المقدسة كلها . وللعالم جيمس هنري بيرسيد نظرية أخرى في اسم المهندس الذي أشرف على بناء هرم خوفو حيث يعتقد أنه أمير آخر اسمه «خوفو عنخ» وله تابوت محفوظ بالمتحف المصري . [المترجم] .



وقد تطلب بناء هذا الهرم استخدام أكثر من مليوني كتلة من الحجر الجيري ، يصل وزن بعضها إلى نحو ١٥ طناً^(١٥) . وقد استخرجت الأحجار التي استخدمت في بناء جسم الهرم من المحاجر القريبة من المنطقة . أما الأحجار التي استخدمت في الكسوة الخارجية فهي أحجار أكثر نعومة ونقاء ، وقد استجلبت من محاجر « طره » على الشاطئ الآخر من نهر النيل^(١٦) .

وقد قيلت عدة نظريات في الطريقة والكيفية التي اتبعتها القدماء في بناء الهرم لعل أقربها إلى المعقول هي النظرية التي قال بها العالم الأمريكي « دوس دنهام » Dows Dunham بعد أن أجرى العديد من الدراسات وقام بالعديد من الحفائر الأثرية في منطقة الجيزة .

(١٥) أجرى علماء الآثار بعض الحسابات لتقدير عدد الكتل الحجرية التي استخدمت في بناء جسم هرم خوفو ، وتراوح تقديرهم ما بين ٢,٣ مليون و ٢,٥ مليون كتلة . ومتوسط وزن الكتلة الواحدة ٢,٥ طناً ويصل وزن بعض الكتل إلى نحو ١٥ طناً ، ويصل وزن بعض أحجار جدران البهو الأعظم وسقف حجرة الملك إلى نحو ٥٥ طناً . ويصل الوزن الاجمالي لكتلة الهرم الأكبر إلى نحو ٦ مليون و ٨٤٠ ألف طن [المترجم] .

(١٦) يتميز الحجر الجيري المستجلب من محاجر طره بشرق النيل بأنه ناصع البياض وأملس ويمكن الحفر عليه بسهولة ، وقد استعمل هذا النوع من الأحجار الجيرية في كسوة الأهرام أو في صناعة الأبواب الوهمية التي كانت تقام داخل المقابر والمصاطب . ولهذا فليس من الغريب أن اسمه الشائع حالياً هو « الحجر السلطاني » [المترجم] .

الصورة (٧٧)

أهرام الجيزة كما تبدو من الناحية الجنوبية الشرقية . وأمام أصغر هذه الأهرام الثلاثة [هرم منكاوغ] تظهر ثلاثة أهرام صغيرة خاصة بثلاث من زوجاته . ويبدو هرم خفرع كما لو كان أعلى قليلاً من الهرم الأكبر [هرم خوفو] ذلك لأن هرم خفرع مبني فوق ربوة تملو قليلاً عن أرضية هرم خوفو . وحقيقة الأمر أن هرم خفرع يقل في الأصل بنحو عشرة أقدام [نحو ثلاثة أمتار] عن هرم خوفو . ولكن بعد مرور الزمن وتساقط الكثير من أحجار الهرمين ، فإنه في حالته الراهنة يقل في الارتفاع عن هرم خوفو بنحو قدمين ونصف [نحو ٧٧ سم] .

• تصوير: بيتر كلايتون .

(٧٧)



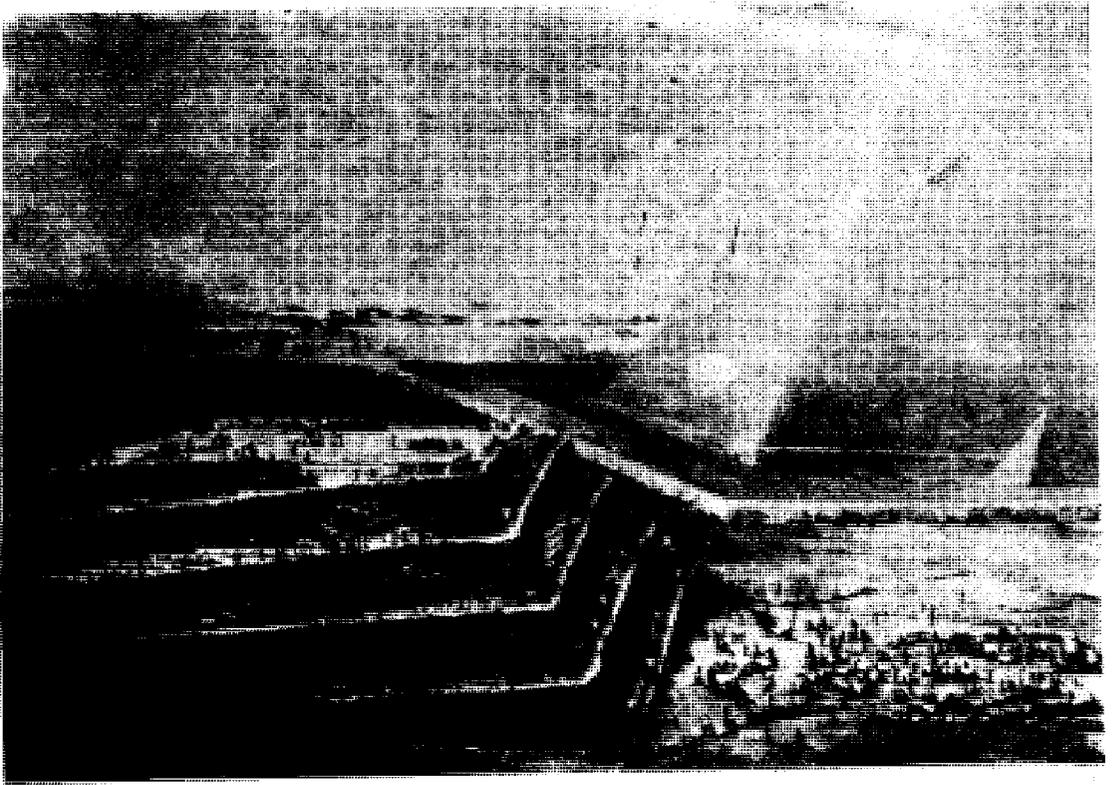
يفترض دنهام أنهم قاموا ببناء أربعة طرق من ركام الدبش وقوالب الطين . وكانت هذه الطرق الأربعة صاعدة بميل إلى أعلى وبزوايا محددة حول كل واجهة من واجهات الهرم . وكانت هذه الطرق الصاعدة ترتفع وتعلو كلما ارتفع بناء الهرم طبقة بعد طبقة أو مدماكاً بعد مدماك و إلى أن يتم بناء قمة الهرم ، ثم يتم صقل أحجار الكسوة الخارجية من أعلى إلى أسفل ، وتزال اثناء ذلك كل بقايا الطرق الصاعدة الأربعة من كل واجهة من واجهات الهرم .

وكانت ثلاثة فقط من تلك الطرق الصاعدة تستخدم في عمليات جر وسحب الأحجار إلى أعلى ، أما الطريق الرابع فقد كان مخصصاً لنزول العمال والزلاجات الفارغة التي كانوا يستخدمونها في نقل الأحجار [الصورة ٧٨] .

وطبقاً للحسابات التي أجراها دنهام فقد استنتج أن ألفين وخمسمائة عامل فقط كانوا يكفون لأداء العمل بالكفاءة المطلوبة ، وأن في المراحل النهائية للبناء كان عدد هؤلاء العمال يتناقص عن هذا الرقم إلى حد كبير . هذا بطبيعة الحال بالإضافة إلى عدد كبير من العمال الآخرين كانوا يعملون في المحاجر لقطع الأحجار ويقومون بعمليات نقل هذه الأحجار من المحاجر إلى موقع البناء . كما يرى دنهام أن عدد العمال الذين ذكرهم هيرودوت [مائة ألف عامل] نقلاً عن الأدلاء الذين قابوه يعتبر شكلاً من أشكال المبالغات الكبرى .

ويذكر العالم «بترى» نظرية أخرى مؤداها أن العمال الذين استخدموا في بناء الهرم كانوا من فريقين مختلفين : الفريق الأول من العمال المهرة الذين كانوا

يعملون فى تقطيع كتل الأحجار من المحاجر ويقومون بتسوية وتهذيب أسطحها، بالإضافة إلى عمال البناء. ومن المحتمل أن هذا الفريق كان يعمل بصفة مستمرة طوال العام. أما الفريق الثانى فيتكون من العمال الذين كانوا يستخدمون فى عمليات جر وسحب ونقل الأحجار إلى موقع البناء، وأغلبهم كانوا من الفلاحين الذين كانوا يتعطلون عن العمل أثناء موسم الفيضان. ولذلك فقد كان هذا الفريق يعمل بصفة موسمية.



الصورة (٧٨)

(٧٨)

لم تعرف على نحو قاطع حتى الآن الطريقة الحقيقية التى بنيت بها الأهرام. ولكن أكثر هذه الطرق قبولاً هى الطريقة المبينة فى هذا الرسم والتى تبين طريقة بناء هرم منكاويج. فقد بنيت من الدبش وقوالب الطين أربعة طرق صاعدة مائلة إلى أعلى بزوايا محددة حول كل واجهة من واجهات الهرم. وكانت هذه الطرق الصاعدة ترتفع كلما ارتفع بناء الهرم إلى أن يتم بناء القمة. ويتم بعدئذ صقل أحجار الكسوة الخارجية من أعلى إلى أسفل وتزال أثناء ذلك كل بقايا الطرق الصاعدة من كافة واجهات الهرم. • الرسم عن متحف العلوم بوسطن.

الصورة (٧٩)

رسم من كتاب «وصف مصر» بين مدى ارتفاع «الهبوط الأعظم» بداخل الهرم الأكبر. ويرتفع سقف هذا الهبوط إلى ثمانية وعشرين قدماً [نحو ٨,٤٥ متراً] . وفي نهاية أرضية هذا الهبوط تخزن كتل الجرانيت الضخمة التي استخدمت في اغلاقه بعد الانتهاء من عملية دفن الملك . ثم تسلل الرجال الذين قاموا بالإجراءات الأخيرة من عملية الدفن عبر ممر ضيق يبدأ من قاعدة الهبوط الأعظم ويؤدي إلى الممر الهابط الذي يصل إلى الغرفة السفلية ، وعبر هذا الممر تمكنوا من العودة إلى خارج الهرم [انظر الصورة ٧٦ الشكل «و»] .

• الرسم منقول من كتاب «وصف مصر» الذي صدر بباريس سنة ١٨٢٢ م .

وقد قام «بترى» بإجراء العديد من الدراسات والقياسات على الهرم الأكبر، واكتشف حقيقة مؤداها أن تابوت الملك المصنوع من حجر الجرانيت والموجود حالياً بدون غطاء في حجرة الدفن، يزيد عرضه بمقدار بوصة واحدة عن عرض الممر المساعد الذي يعتبر الممر الوحيد المؤدى إلى حجرة الدفن . وعلى ذلك فقد استنتج بترى أن التابوت وضع في موضعه على الجانب الغربي من حجرة الدفن أثناء عمليات بناء الهرم وقبل بناء جدران وسقف حجرة الدفن، ومن المحتمل بناءً على ذلك أن مومياء الملك قد وضعت بعد تحنيطها في تابوت خشبي مناسب، وتم وضع هذا التابوت الخشبي بداخل التابوت الجرانيتي عند دفن الملك وقبل غلق الهرم [الصورة ٨٢] .



وبعد اتمام بناء الهرم أحيط بسور يدور حول جوانبه الأربعة (١٧). وكان يضم المبانى الصغيرة الملحقة بالهرم وأهمها المعبد الجنائزى الذى كان يقع فى الجانب الشرقى من الهرم والذى كان يتصل بمعبد الوادى الذى يقع على شاطئ النيل بواسطة طريق صاعد.

وكان من المعتاد فى عصر الدولة القديمة أن يتم دفن مراكب جنائزية جوار المقابر. وقد تم العثور على بعض الحفريات الفارغة التى حفرت على شكل مراكب بجوار الهرم الأكبر وبعض مصاطب الملكات بنفس المنطقة [الصورة ٨١]. وقد عثر العالم «إيمرى» على حفرة مماثلة بجوار مصطبة دفن الملك «دِجِت» [من عصر الأسرة الأولى].

وفى سنة ١٩٥٤، أثناء ازالة ركام من الانقاض التى كانت موجودة عند الجانب الجنوبي للهرم الأكبر بغرض تعبيد طريق فى تلك المنطقة، تم العثور على حفرة مغلقة ومغطاة بكتل من الحجر الجيرى تعلوها طبقة سميكة من المونة [الصورة ٨٣]. وعندما فتحت تلك الحفرة عثر بداخلها على مركب كبير مفكك إلى أجزاء ومصنوع من خشب الأرز (١٨). وكان المركب فى حالة سليمة لأن الحفرة التى دفن فيها كانت محكمة ضد تسرب الهواء. ويعتبر هذا المركب أكبر وأقدم مركب عثر عليه حتى الآن. وقبل العثور عليه كانت أقدم نماذج المراكب الأثرية هى المراكب الثلاث التى عثر عليها سابقاً فى منطقة دهشور والتى يعود تاريخها إلى عصر الأسرة الثانية عشرة.

وقد تم تفكيك مركب خوفو قبل دفنه فى تلك الحفرة التى لايزيد طولها عن ٩٣ قدماً، فى حين أن طول المركب بعد أن تم تركيبه يصل إلى نحو

(١٧) دلت الشواهد الأثرية على أن هرم خوفو كان محاطاً بسور مازالت آثاره باقية حتى الآن. وكان هذا السور يتوازى مع أضلاع الهرم الشمالية والجنوبية والغربية. ويبعد هذا السور عن الضلع الشمالى بمسافة ٢٣,٦٠ متراً، وعن الضلع الجنوبى بمسافة ١٨,٥ متراً، وعن الضلع الغربى بمسافة ٢٣,٦٠ متراً [الترجم].

(١٨) يبلغ طول الحفرة ٣١ متراً وعرضها ٢,٦٠ متراً وعمقها ٣,٥٠ متراً. وكانت تغطيها ٤١ كتلة حجرية يبلغ متوسط وزن الكتلة الواحدة نحو ١٨ طناً ويبلغ متوسط طول كل كتلة ٤,٥٠ متراً وعرضها ١,٨٠ متراً ومسكها ٨٥ متراً [الترجم].

١٤٣ قداماً (١٩). وثمة كابينتة على سطح هذا المركب تقع جهة المؤخرة. وهى مسقوفة بسقف محمول على أعمدة تشبه سيقان النخيل. ويتميز المركب بارتفاع كل من عمودى المقدمة والمؤخرة. وتوجد على سطح المركب الكثير من المعدات كالمجاديف والدفة ولقات الحبال والأعمدة التى تحمل غطاء الظل الذى تفصله عن جدران الكابينتة مسافة قصيرة كان من المفروض أن يتخللها الهواء فتؤدى دور تكييف الهواء بهذه الطريقة البدائية المبسطة.

وعثر ضمن أجزاء المركب على عدد صغير من الأجزاء المعدنية التى استخدمت فى ربط وتثبيت بعض الأجزاء ببعضها الآخر. ولكن معظم الأجزاء الخشبية للمركب كانت تثبت ببعضها عن طريق استخدام الدسر أو الألسنة الخشبية أو تربط ببعضها بالحبال (٢٠).

هذا وهناك حفرة ثانية تقع على بعد أمتار قليلة غربى الحفرة الأولى. ومن المحتمل وجود مركب آخر مدفون بتلك الحفرة التى لم تفتح بعد (٢١).

ولعل السبب فى أن الأجزاء الخشبية لمركب خوفو قد وجدت مدفونة بحالة سليمة بداخل الحفرة، هو أن الحفرة نفسها كان لها افريزان على جانبيها، وقد ارتكزت

(١٩) بعد تركيب المركب وصل طوله إلى ٤٣,٤٠ متراً وأقصى عرضه ٥,٩ متراً وأقصى ارتفاع لمقدمته ٦ أمتار وترتفع مؤخرته إلى ٧,٥ متراً وعمق غاطسه ١,٧٨ متراً. ولمن يريد التعرف على المزيد من تفاصيل التوثيق العلمى للمركب، يُرجى الرجوع إلى كتاب المترجم «مراكب خوفو - حقائق لا أكاذيب» من اصدار الدار المصرية اللبنانية سنة ١٩٨٩.

(٢٠) كان المركب مفككا إلى ٦٥٠ جزءاً تتكون من ١٢٢٤ قطعة من أخشاب الأرز وبعض أنواع الأخشاب الأخرى. ويبلغ متوسط طول القطع الكبيرة نحو ٢٣ متراً. ويصل وزن القطعة الواحدة منها نحو ٢,٥ طناً، كما أن هناك قطعاً أخرى لا يزيد طولها عن ١٠ سم. وكانت جميع هذه القطع والاجزاء مرصوصة ومرتبطة بدقة وعناية شديدة بداخل الحفرة [المترجم].

(٢١) خلال شهر أكتوبر ١٩٨٧ قامت نخبة من العلماء المصريين والأمريكيين باجراء تجربة فريدة استخدمت فيها تكنولوجيا الفضاء والاستشعار عن بعد للتعرف على محتويات هذه الحفرة الثانية ودراسة بيئتها الداخلية دون احداث أى تأثير خارجى على تلك المحتويات وتلك البيئة. وقد أسفرت التجربة عن التأكيد على وجود مركب آخر من مراكب خوفو، وجد مفككا بنفس الحالة التى كان عليها المركب الأول. وقد تم تصوير هذا المركب الثانى تليفزيونياً وفوتوجرافياً كما أخذت عينات من هواء الحفرة تم تحليلها. [المترجم].

الصورة (٨٠)

تفصيل من تمثال الوزير حِم إِيُونُو [٢٥٨٠ ق م] وزير الملك خوفو. وهو المهندس الذي يجتعل أن يكون قد وضع تصميم الهرم الأكبر وأشرف على بنائه وبين التمثال قوة شخصيته. والتمثال منحوت من الحجر الجيري وغير ملون ووجدت عليه كتابة ملونة. وقد قام لصوص المقابر في الأزمنة القديمة بقلع العينين الأصليتين للتمثال، لذلك فقد تم ترميمه وعمل عينين حديثتين من الخوص.

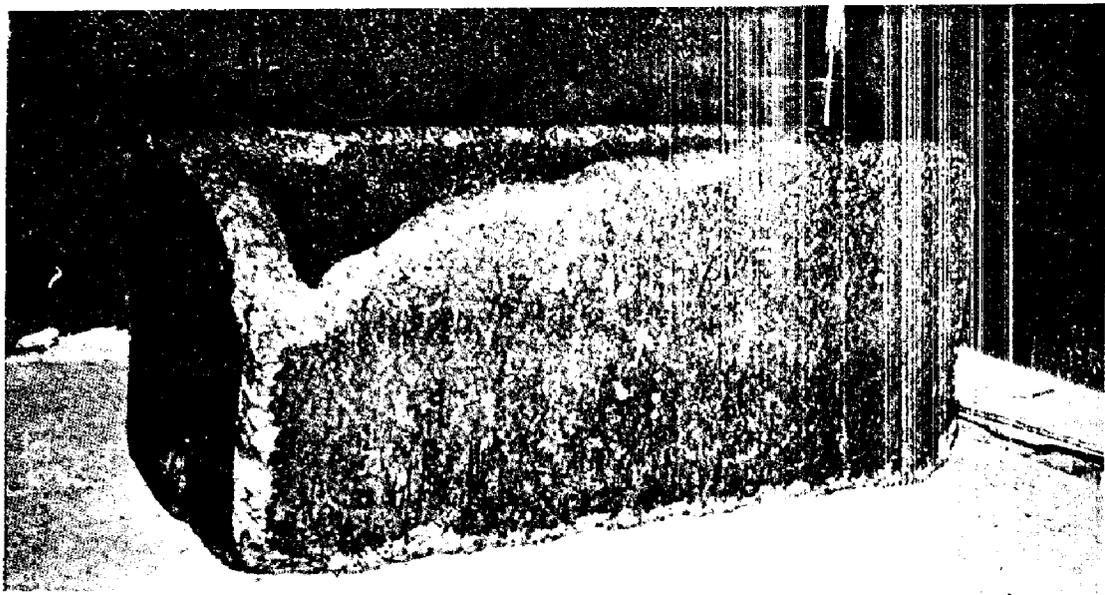
• محفوظ متحف بلنيسوس. تصوير: فهمير.

الصورة (٨١)

مجموعة من المصاطب والحفرات التي استخدمت في دفن المراكب تقع في الناحية الشرقية من الهرم الأكبر بالجيزة. وقد تم تصميم هذه الحفرات على شكل مراكب. وحتى يمكن معرفة الحجم الحقيقي لهذه الحفرات، يمكن مقارنتها بمجمم راكب الجمل الذي يسير على الطريق المجاور للجانب الشرقي للهرم.

• تصوير: بيتر كلايتون.





الصورة (٨٢)

(٨٢)

التابوت الفارغ الذى صنع من الجرانيت الأسود والذى عثر عليه بالجانب الغربى من غرفة دفن الملك التى تقع بقلب الهرم الأكبر [انظر الصورة ٧٦ شكل «و»]. ويلاحظ وجود كسر بأحد جوانب التابوت، كما لم يتم العثور على الغطاء الذى كان يغطيه. والتابوت فى مجمله ذو مظهر خشن، وما زالت ترى حتى الآن آثار المناشير التى استخدمت فى نشر الحجر.

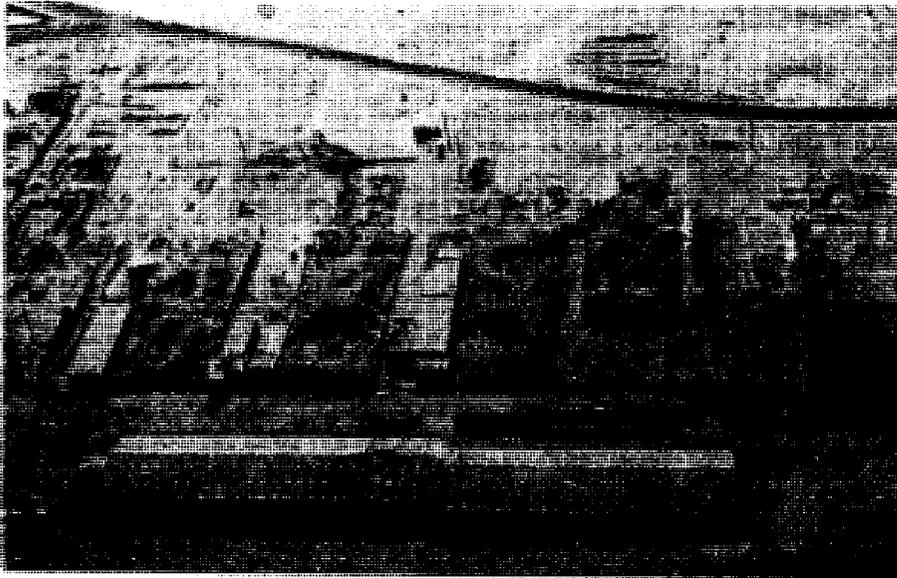
• تصوير: بيتر كلابنود.

الصورة (٨٣)

صورة التقطت من قمة الهرم الأكبر للناحية الجنوبية للهرم حيث أقيم مأوى لحماية المركب الذى عثر عليه [سنة ١٩٥٤م] مدفوناً فى باطن الأرض داخل حفرة مستطيلة الشكل، ولا تأخذ شكل المراكب مثل الحفراة الأخرى التى عثر عليها بالجانب الشرقى للهرم [انظر الصورة ٨١]. ويرى فى الصورة طرفاً من المأوى الذى خزنت فيه «المجاديل»، أو الكتل الحجرية الضخمة التى استخدمت فى تسقيف وغلق حفرة المركب وجعلها محكمة ضد تسرب الهواء مما أدى إلى حفظ وصيانة أجزاء المركب عبر آلاف السنين. وعلى يمين المأوى نرى جزءاً من غطاء الحفرة الثانية التى يحتمل أن يكون مدفوناً فيها مركب آخر [راجع هامش رقم ٢١ بالفصل السادس].

• تصوير: بيتر كلابنود.

(٨٣)



على هذين الافريزين مجموعة من المجاديل أو الكتل الحجرية الضخمة يصل عددها إلى ٤١ كتلة، وتزن كل واحدة منها نحو ١٦ طناً، كما أن الحفرة نفسها كانت على شكل مستطيل، وهو شكل يختلف عن شكل الحفرات المماثلة التي وجدت بالقرب من الهرم الأكبر، والتي صممت في الأصل على شكل مراكب. وهذا الشكل المستطيل لحفرة مركب خوفو جعل من السهل اغلاقها واحكامها بالمجاديل الحجرية الضخمة والمونة التي جعلتها محكمة ضد تسرب الهواء أو دخوله.

ومن المؤكد أن الملك «جِدِدِف رَع» (٢٢) الذى تولى الحكم بعد أبيه الملك خوفو هو الذى أشرف على دفن هذا المركب، لأن اسمه هو الاسم الملكى الوحيد الذى وجد مكتوباً على الكتل الحجرية ضمن الكتابات والعلامات التى نقشها عمال المحاجر (٢٣) [الصورة ١١٥].

وقد ثار جدل حول تصنيف مركب خوفو من ناحية الوظيفة التى كان يؤديها، فقد ادعى البعض أنه من «مراكب الشمس» وقرر آخرون أنه مركب عادى كان

(٢٢) كان بعض علماء التاريخ المصرى القديم يعتبرون الملك «جِدِدِف رَع» من أواخر ملوك الأسرة الرابعة. ولكن بعد الكشف عن وجود اسمه مكتوباً على المجاديل الحجرية التى غطيت بها حفرة دفن مركب خوفو حسمت القضية نهائياً على أساس أن «جِدِدِف رَع» تولى عرش مصر بعد وفاة أبيه الملك خوفو مباشرة. ومن المعروف أن خوفو قد تزوج من عدة نساء، الأمر الذى أدى إلى حدوث منافسات ومنازعات بين أولاده من زوجاته المتعددات على أحقية تولى العرش. ويبدو أن جِدِدِف رَع لم يكن من حقه تولى العرش باعتباره ابناً للملكة ليبية الأصل ولا يجرى فى عروقها الدم الملكى، ويبدو هذا جلياً فى اختلاف ملامح وجه جِدِدِف رَع عن ملامح ملوك الأسرة الرابعة. وتدل الشواهد على استمرار هذه المنازعات الأسرية فى عهد الملك خضوع بعد إزاحة جِدِدِف رَع عن العرش، حيث واصل ابنه «باكارع» منازعاته مع عمه الملك خضوع لعدة أعوام. وقد أقام جِدِدِف رَع هرمًا له فى منطقة «أبورواش» التى تبعد نحو ٧ كيلومترًا شمال هرم خوفو. وقد تعرض هذا الهرم إلى تخريب شديد، وظل يستخدم كمحجر لأهالى المنطقة لدرجة أن عالم المصريات فلندرز بترى ذكر أن الناس فى القرن الماضى [التاسع عشر] كانوا يأخذون من أحجاره يومياً حوالة ٣٠٠ جمل [المترجم].

(٢٣) وجدت علامات حمراء كتبها عمال المحجر على أسطح الكتل الحجرية الضخمة التى غطيت بها حفرة المركب. ولوحظ وجود ١٨ خرطوشاً تحمل اسم الملك «جِدِدِف رَع» بين هذه العلامات، وهذا ما أكد بصفة نهائية أنه هو الذى تولى العرش بعد وفاة أبيه الملك خوفو [المترجم].

الصورة (٨٤)

منظر من داخل معبد الوادى الخاص بهرم خفرع . وقد بنى هذا المعبد من كتل ضخمة من الحجر الجيري وحجر الجرانيت الوردى الأحمر المصقول . وفى هذا البهو المستطيل للمعبد ، كان هناك ٢٣ تمثالاً للملك خفرع نحتت من الألبستر وحجر الشيبث الرمادى وحجر الديوريت الأخضر . وقد عثر ما ريت على أحد هذه التماثيل مدفوناً بحفرة داخل المعبد وكانت معه بعض الأجزاء المكسورة من التماثيل الأخرى . [انظر الصورة ١٠٩] . ومن المعتقد أن عملية تخنيط الملك قد تمت فى مقصورة علوية بداخل المعبد ، ثم تم غسلها وتطهيرها بحجرة انتظار مجاورة وذلك قبل نقلها بالموكب الجنائزى الذى اخترق الطريق الجنائزى الصاعد المسقوف الذى يؤدى إلى المعبد الجنائزى المجاور للهرم ، إلى أن تم دفنها نهائياً بغرفة الدفن بداخل الهرم .

• الصورة بإذن خاص من معهد جريفث .
• متحف آشولين باكسفورد .

يستعمل لأغراض دينوية . ونحن نرجح هذا الرأى الأخير، ونرجح أيضاً احتمال أنه (٨٤) قد استخدم فى الموكب الجنائزى للملك خوفو أثناء الاحتفال بدفنه (٢٤) .

ولعل من أفضل مبانى الدولة القديمة التى ظلت محتفظة بقدر كبير من سلامتها ، معبد الوادى الخاص بهرم الملك « خفرع » (٢٥) وهو أحد خلفاء الملك

(٢٤) راجع كتاب «مراكب خوفو.. حقائق لا أكاذيب» حيث اثبتنا جميع نظريات علماء التاريخ والآثار المصرية الذين اثبتوا بالأدلة القاطمة عدم وجود أية علاقة بين مركب خوفو ومراكب الشمس [المترجم] .

(٢٥) اتسم عهده بالمتازعات الأسرية التى نشبت بينه وبين أولاد الملك «جدد رف» . ومع ذلك فقد استطاع إقامة هرمه الذى يضارع هرم أبيه الملك خوفو فى عظمته وإن كان أقل منه حجماً . وكانت قاعدة الهرم من جهاتها الأربعة مكسوة بمدماكين من الجرانيت الوردى . وفى المعبد الجنائزى للهرم عثر على كسرات وبقايا أكثر من ٢٠٠ تمثال للملك خفرع وكانت كلها مهشمة =

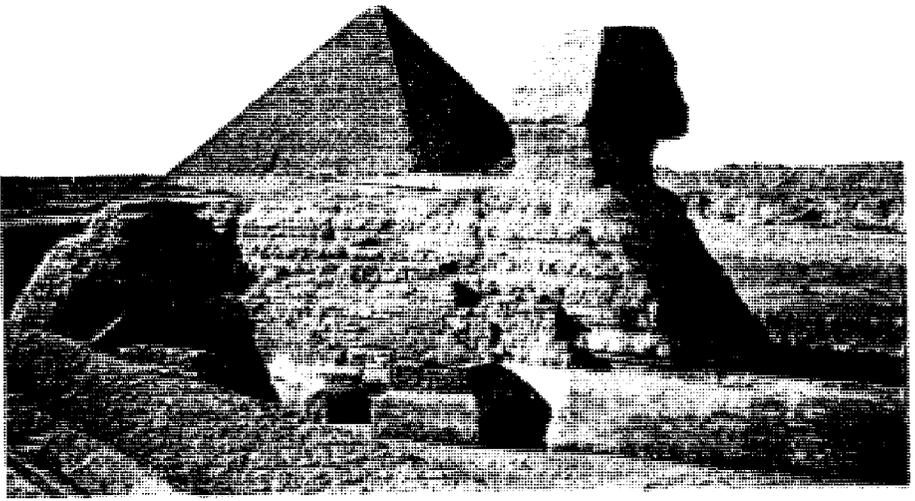
خوفو. وقد بنى هذا المعبد الرائع بكتل ضخمة من الحجر الجيري المحلى وأحجار الجرانيت الوردية المصقولة. ومن المحتمل أن فكرة بناء معابد الوادى هى محاكاة بالحجر لتلك الشوادر الخفيفة التى كانت تقام بالحصير ليجرى بداخلها اعداد مومياوات الملوك السابقين للدفن بعد تغسيلها وتطهيرها وتعطيرها وتخنيطها. وكانت مثل هذه الشوادر تقام بالقرب من شاطئ النيل، وذلك لصرف المياه والسوائل التى استخدمت فى هذه العمليات إلى مجرى النيل كنوع من زيادة الخصوبة والبركة فى أرض مصر.

وفى بهو معبد الوادى الخاص بهرم خفرع والذى صمم على شكل حرف «T» [الصورة ٨٤] أجريت المراسم الجنائزية النهائية لمومياء الملك قبل تشييعها فى موكب رهيب مرّ خلال الطريق الصاعد المسقوف الذى يصل ما بين معبد الوادى والمعبد الجنائزى المقام بجوار الهرم.

ويعتبر هذا البهو من أروع الأعمال المعمارية التى خلفها لنا مهندسو الدولة القديمة، بسقفه المشيد بكتل الجرانيت الضخمة، واعمدته ذات الجوانب المربعة الخالية من الزينة أو النقوش والمشيدة أيضاً من كتل ضخمة من الجرانيت الوردى. وقرب السقف كانت هناك فتحات مائلة فى أعلى الجدران، يتسرب منها ضوء الشمس لينعكس بدوره على الأرضية المصنوعة من المرمر المصقول، فيوزع النور الباهر على تماثيل الملك الثلاثة والعشرين التى كانت مقامة على مسافات متقاربة بجوار الجدران [الصورة ١٠٩].

ويعتبر هذا المعبد تجسيدا بالحجر للمفهوم العقائدى الذى ساد فى الدولة القديمة، فقد تم تصميمه هندسياً وتنفيذه معمارياً بنفس الروح البسيطة الصلبة التى أوحى بتصميم وتنفيذ أهرام الجيزة بكل ما تتضمنه من دقة وسلامة وكمال. تلك الروح التى تعاملت بلا تردد مع أقسى أنواع الحجر، من البازلت والجرانيت والديوريت والمرمر والحجر الجيري.

== تَشْيِماً شَدِيداً. وكان الارتفاع الأصلي لهرم خفرع ١٤٢,٥٠ متراً، وطول كل ضلع من أضلاعه ٢١٥,٥٠ متراً، وزاوية ميله ٥٣ درجة و ١٠ دقائق. وظل مدخل الهرم مدفوناً تحت أكوام الرديم لعصور طويلة حتى عثر عليه الإيطالى جيوفانى بلزوني سنة ١٨١٨ م [الترجم].



(٨٥)

الصورة (٨٥)

هرم خوفو [٢٥٧٥ ق م] كما يبدو من الناحية الجنوبية الشرقية. وفي مقدمة الصورة نرى تمثال أبو الهول الذي نحت فيما بعد من كتلة ضخمة من الحجر الجيري تبقّت بعد قطع الأحجار المحلية التي استخدمت في بناء هرم خفرع.

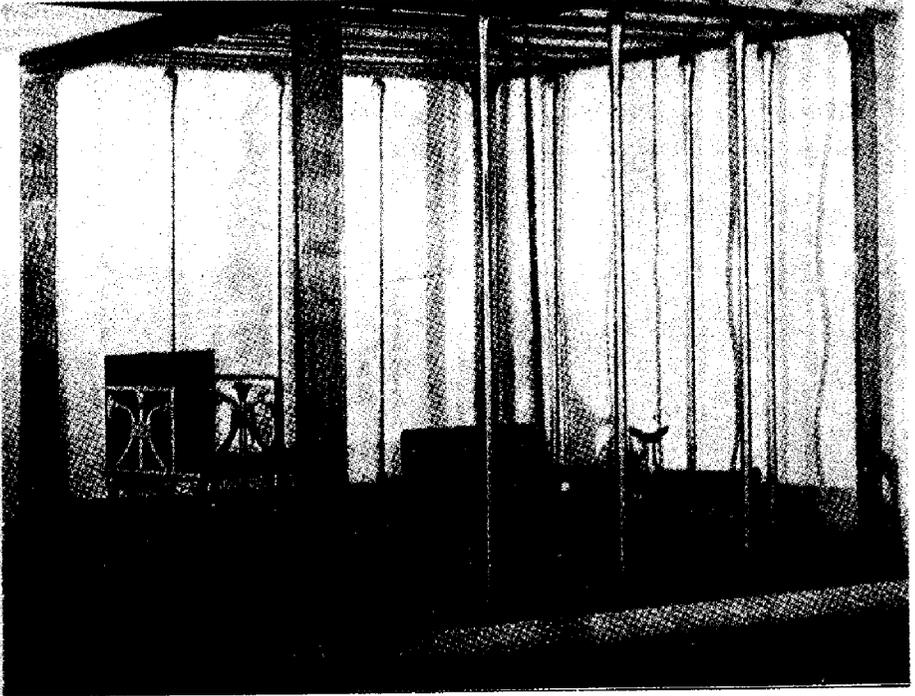
• تصوير: بيتر كلابتون.

الصورة (٨٦)

الأعمدة الخشبية التي كانت تكوّن خيمة السفر الخاصة بالملكة «جيتب حرس» [٢٥٨٠ ق م]. وجميع هذه الأعمدة مغطاة بصفائح الذهب. ومن المعتقد أنها كانت تكسى من الخارج بستائر من الكتان الرقيق لحماية الملكة من الناموس. ونرى أيضاً سرير الملكة وعليه مسند الرأس. كما نرى الكرسي المذهب والصندوق المذهب الخاص بحفظ الستائر.

• محفظة بالمتحف المصري بالقاهرة. والصورة بإذن خاص من متحف الفنون الجميلة بوسطن.

(٨٦)



وكانت المجموعات الهرمية بالجيزة تتضمن — ولا شك في ذلك — أعمالاً فنية مبهرة من التماثيل والنحت البارز والأثاث وغير ذلك من الأعمال التي أنتجها الموهوبون من فناني وحرفيي مصر القديمة في ذلك الزمن [الصورتان ٧٧، ٨٥].

ومن حسن الحظ فقد وصل إلينا نموذج من هذا الانتاج الفنى الرفيع متمثلاً فى قطع الأثاث الرائعة الخاصة بالملكة «حِتَب حِرْس» أم الملك خوفو. ففى عام ١٩٢٥ عثر عالم المصريات جورج رايزنر على غرفة دفن صغيرة تقع أسفل بئر يصل عمقه إلى ٩٩ قدماً [حوالى ٣٠ متراً] فى مكان مجاور للهرم الأكبر بالجيزة. وكانت هذه المقبرة هى الوحيدة التى وصلت سليمة إلينا من مقابر الدولة القديمة [الصورتان ٨٦، ٨٧].

ودلت الشواهد على أن هذه الدفنة كانت فى حقيقة الأمر عملية «إعادة دفن». وبالرغم من أن عدة نظريات قد قيلت فى تبرير ذلك، إلا أننا نرجح النظرية التى قال بها رايزنر، وهى أن الملكة حِتَب حِرْس قد دفنت فى الأصل فى إحدى المصاطب بالقرب من هرم زوجها الملك سنفرى بدهشور.

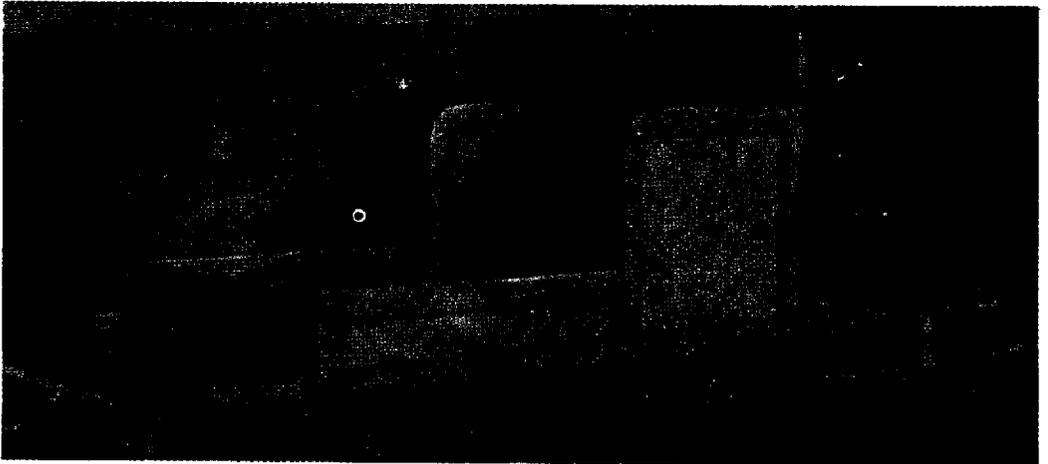
وقد عثر رايزنر بغرفة الدفن التى وجدها بأسفل البئر على الأثاث الجنائزى الخاص بالملكة وعلى تابوتها المصنوع من المرمر وعلى الأوانى الكانوبية المخصصة

الصورة (٨٧)

المعد المتفل الذى كان يستخدم لحمل الملكة حنح حرس بعد ترميمه وإعادة تركيبه. والأجزاء الخشبية وحدها أجزاء حديثة الصنع، أما زخارف الذهب فكلها زخارف أصلية. وعلى ظهر المعد كتب بالذهب اسم الملكة وألقابها.

• محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة. تصوير: بيتر كلايتون.

(٨٧)



لحفظ الأحشاء الداخلية لجثمانها. ولكن التابوت وجد خالياً من المومياء فى حين ظلت الأحشاء الداخلية محفوظة بداخل الأوانى الكانونية. وكان ذلك فى حد ذاته على درجة كبيرة من الأهمية فى دراسة تاريخ التحنيط فى مصر القديمة حيث كانت هذه الأحشاء أقدم نموذج يؤكد لنا طريقة التحنيط التى اتبعت فى مصر القديمة، والتى كانت تتم بعد نزع واستخراج جميع الأحشاء الداخلية لجثمان المتوفى وحفظها فى أوعية خاصة.

ويفترض راينزر أن الملكة حنح حرس قد دفنت أصلاً فى مصطبة بدهشور. ولكن حدث بعد دفنها مباشرة أن اقتحم لصوص المقابر هذه المصطبة ودمروا مومياء الملكة لكى يحصلوا على الحلى والجواهر الثمينة التى كانت تزين بها. ومن المحتمل أن الملك خوفو قد أبلغ بأمر هذا الاقتحام الذى حدث لمقبرة والدته، دون أن يبلغ بأمر سرقة موميائها، لذلك فقد أمر خوفو بإعادة دفن والدته ونقل جميع الأثاث الجنائزى الخاص بها فى تلك المقبرة السرية بأسفل البئر المجاور لهرمه بالجيزة ليكفل لها المزيد من الأمان فى هذه المنطقة بجواره.

وبفحص هذا الأثاث الجنائزى تبين لنا أن بعض قطع هذا الأثاث كانت مستعملة أثناء حياة الملكة. ولكن أغلب القطع الأخرى قد صنعت خصيصاً لخدمة الملكة خلال رحلتها فى العالم الآخر. ويتضمن الأثاث مجموعة الأوانى والزهريات المصنوعة من الذهب والنحاس والمرمر، وسكاكين مصنوعة من الذهب، وحلى للأصابع مصنوعة من الذهب، وأدوات نحاسية أخرى.

وفوق التابوت المرمرى عثر على «ظلة» مفككة مصنوعة من الخشب المغطى بصفائح الذهب. ومن المحتمل أن هذه «الظلة» كانت غير مفككة حين دفنت مع الملكة فى مقبرتها الأصلية بدهشور، ولكنها فككت حتى لا تشغل حيزاً كبيراً فى حجرة الدفن الصغيرة بأسفل البئر المجاور للهرم الأكبر.

وعثر كذلك على سرير الملكة وعلى كرسيين بمساند، ومزينين جزئياً بصفائح رقيقة من الذهب، كما وجدت محفة الملكة وعليها كتابات هيروغليفية مكتوبة بالذهب على خشب الأبنوس، وتدل على إسم الملكة وألقابها وهى: «أم ملك الوجه القبلى والوجه البحرى. المؤمنة بحورس. المشرفة على شئون الحرم. ذات الأمر المطاع، ابنة الإله من صلبه. حيتب حرس».

وجميع هذه القطع الرائعة ذات التصميم الذى يدل على ذوق رفيع، يتمثل فى طراز الكراسى والصناديق والظلة والسرير والحفة، وكيفية تزيين هذه التحف كلها بصفائح الذهب والجواهر ذات الألوان المختلفة من الفيانس والعقيق الأحمر تعكس مدى الثراء الوافر، وتعكس فى الوقت نفسه احساساً بالبساطة المتناهية التى تميزها بهاء وروعة الأعمال الفنية فى عصر الدولة القديمة بأكمله.

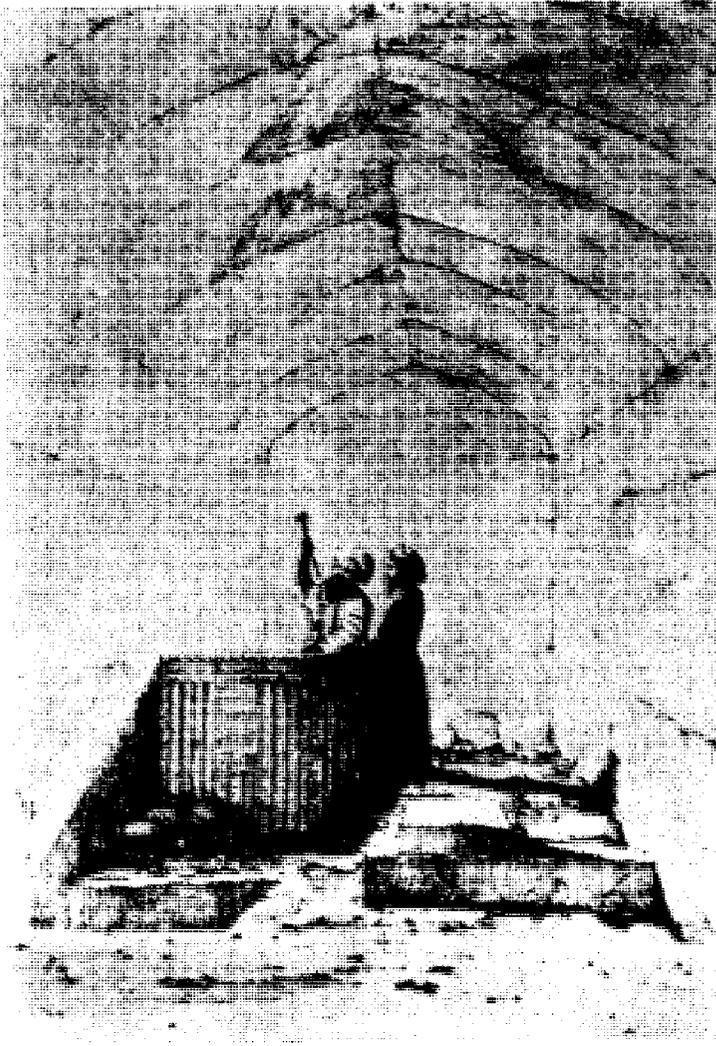
■ العمارة فى أواخر عصر الدولة القديمة

كان من الواضح أن الموارد المالية والبشرية، والجهود الجبارة التى بذلت فى بناء أهرام الجيزة، أصبحت أمراً غير مرغوب فيه، بل وخارجة تماماً عن استطاعة وإمكانيات الملوك الذين حكموا مصر بعد انتهاء عصر الأسرة الرابعة. وحتى فى أواخر عصر تلك الأسرة نلاحظ أن الهرم الذى أقامه «ميناكأورغ» (٢٦) أصبح أقل حجماً بنسبة كبيرة إذا قورن بهرمى سلفيه خضوع وخوفو (٢٧) [الصور ٧٧، ٨٨، ٨٩].

أما الملوك الذين حكموا مصر خلفاء لملوك الأسرة الرابعة، فقد شيدوا أهرامهم فى منطقتى أبو صير وسقارة، وتخلوا تماماً عن استخدام نسب الضخامة التى استخدمت فى بناء تلك المنشآت الحجرية الهائلة فى منطقة الجيزة [الصورة ٩٠].

(٢٦) من المحتمل أنه ابن الملك خضوع. وقد وضع تصميم هرمه على أن تكون كسوته الخارجية كلها من الجرانيت الوردى بدلاً من الحجر الجيري المستجلب من طرة الذى استخدم فى كسوة هرمى خوفو وخضوع. ولكن كسوة الهرم كاملاً بالجرانيت لم تكتمل فى عهده، ولم تبلغ سوى ١٦ مدماكاً فقط أى نحو ثلث ارتفاع الهرم. وقد وجد تابوته الرائع المصنوع من حجر البازلت، وتم شحنه إلى إنجلترا، ولكن السفينة التى نقلته غرقت أثناء رحلتها البحرية فى ١٢/١٠/١٩٣٨ م. وفى العصور التالية على عصره عرف «ميناكأورغ» بأنه الرجل التقى، وقُدِّس واعتبر حكيماً فى عصر الرعامسة [المترجم].

(٢٧) يبلغ طول كل ضلع من أضلاع قاعدة هرم خوفو نحو ٧٥٦ قدماً [نحو ٢٣٠ متراً] وطول ضلع قاعدة هرم خضوع نحو ٧٠٨ قدماً [نحو ٢١٥,٨ متراً] وطول ضلع قاعدة هرم ميناكأورغ نحو ٣٥٦ قدماً [نحو ١٠٨,٥ متراً] [المترجم].



(٨٨)

الصورة (٨٨)

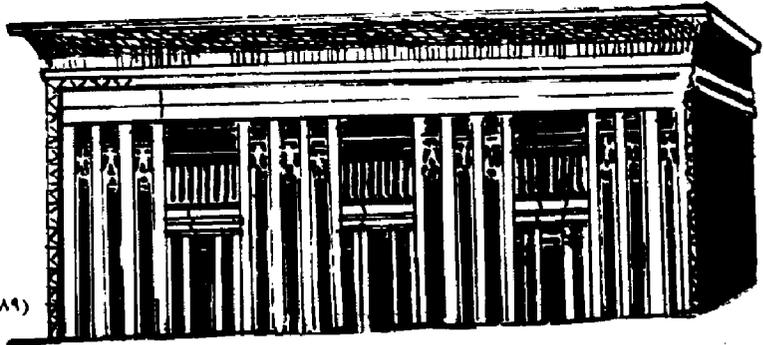
كان هرم منكاورع هو الهرم الوحيد من أهرام الجيزة الذى يحتوى على تابوت مزخرف . فقد كان تابوت كل من خوفو وخفرع خالياً من أية زخرفة . وهذا رسم قديم يبين موضع تابوت الملك منكاورع فى مكانه . بغرفة الدفن بداخل هرمه عندما اكتشفه الكولونيل فايس فى القرن الماضى .

• الرسم مأخوذ عن كتاب «عمليات الكشف التى أجريت بأهرام الجيزة» من تأليف فايس وبرينج - لندن ١٨٤٠ م .

الصورة (٨٩)

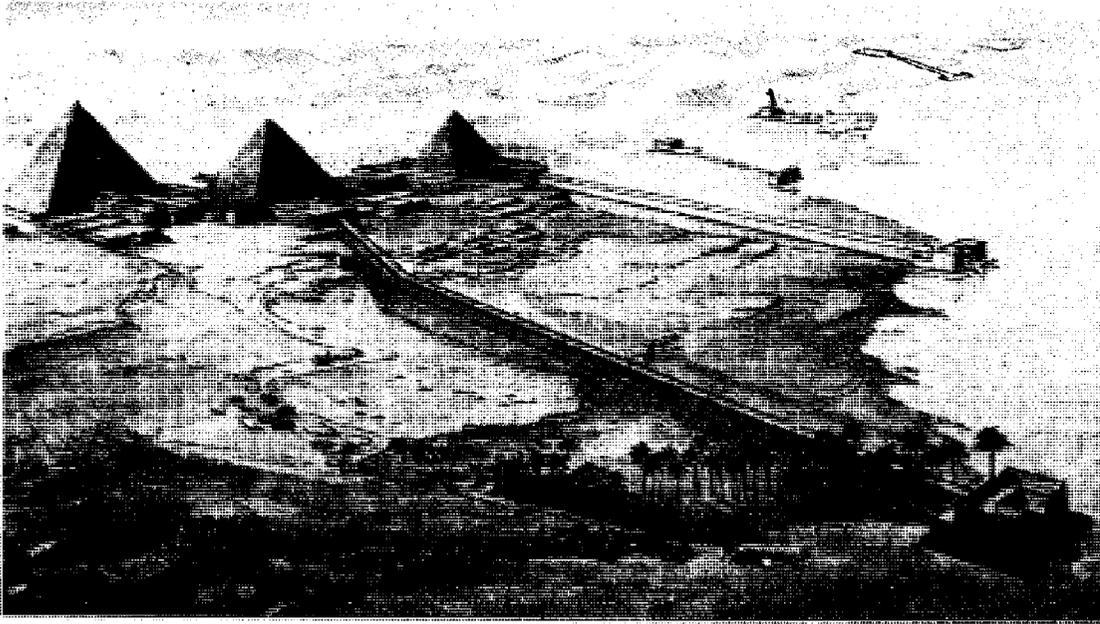
رسم لتابوت الملك منكاورع المنحوت من حجر البازلت وقد زخرفت واجهاته الخارجية بنحتها على شكل أعمدة تزين مدخل القصر . ومن سوء الحظ فقد غرق هذا التابوت أثناء نقله إلى إنجلترا على سفينة غرقت فى خليج سكاى .

• الرسم منقول عن فايس وبرينج .



(٨٩)

هذا التضاؤل أو الانكماش فى حجم قبر الفرعون تزامن تماماً مع الانتقاص أو التواضع فى تقدير منزلة الفرعون فى نفس الوقت، كما تزامن أيضاً مع تصاعد التقدير المستمر لمنزلة الإله رع الذى كان يعبد فى منطقة هليوبوليس (٢٨).



(٩٠)

الصورة (٩٠)

رسم متخيل لما كانت عليه منطقة أهرام أبوصير. وهى بالترتيب من اليسار إلى اليمين: هرم «نِفِر إز كَارَع» وهرم «نبي وسِرَزَع» وهرم «سَاخُوَزَع». ويزى فى الرسم الطرق الصاعدة المسقوفة التى كانت تربط ما بين معابد الوادى القائمة على شاطئ النيل والمعابد الجنائزية القائمة قرب الأهرام. • الرسم مأخوذ عن: بورشارد.

(٢٨) هليوبوليس هو الاسم اليونانى أما اسمها المصرى القديم فهو «أون» أو «يون» [عين شمس حالياً]. وتقع فى الجنوب الشرقى من رأس الدلتا. وكانت عاصمة المقاطعة ١٣ من مقاطعات الوجه البحرى. وكانت مركزاً علمياً وثقافياً ودينياً بالغ الأهمية منذ أقدم العصور. وعثر بها على عديد من الآثار التى يرجع تاريخها إلى عصور غاية فى الطول، مثل مسلة سنوسرت الأول وبقايا العديد من معابد عصر الرعامسة. وكان فيها المركز الرئيسى لعبادة الشمس تحت اسم الآلهة: رع، وآتوم، ونخبرى، ورع حور آختى بالإضافة إلى العديد من عبادات الآلهة الأخرى. وقد لعب الفلك دوراً هاماً فى العبادة بتلك المدينة، وكان كبير كهنتها يحمل لقب «الرائى الأعظم» دلالة على متابعة النجوم والأفلاك فى السماء [المترجم].

لقد ساد الاعتقاد بأن الفرعون ما هو إلا ابن للإله رع إله الشمس. وقد بدأ ظهور هذه النظرية الجديدة منذ عهد الملك خفرع إلى أن أصبحت ظاهرة واضحة المعالم تماماً فى منتصف عصر الأسرة الخامسة، حين ظهرت قصة شعبية ربما ترجع أصولها إلى ذلك العصر تحكى أن الملوك الثلاثة الأوائل من ملوك هذه الأسرة هم أبناء للإله رع، أنجبهم من زوجة أحد كهنة هليوبوليس.

● معابد الشمس:

وقد ابتكر هؤلاء الملوك شيئاً مستحدثاً فى العمارة الجناثرية، فقد أنشأ كل منهم معبداً للشمس، ربما يكون تصميمه مأخوذاً عن نموذج للمعابد التى كانت تقام فى هليوبوليس لعبادة إله الشمس. وهذه المعابد مختلفة تماماً من ناحية التصميم المعمارى عن المعابد الأخرى التى انشئت فى عصر الدولة القديمة.

ويعتبر معبد الشمس الذى أقامه الملك «نى ويسر رع» (٢٩) فى منطقة أبو غراب (٣٠) خير نموذج وصل إلينا من معابد الشمس التى أقامها ملوك الأسرة الخامسة [الصورتان ٩١، ٩٢].

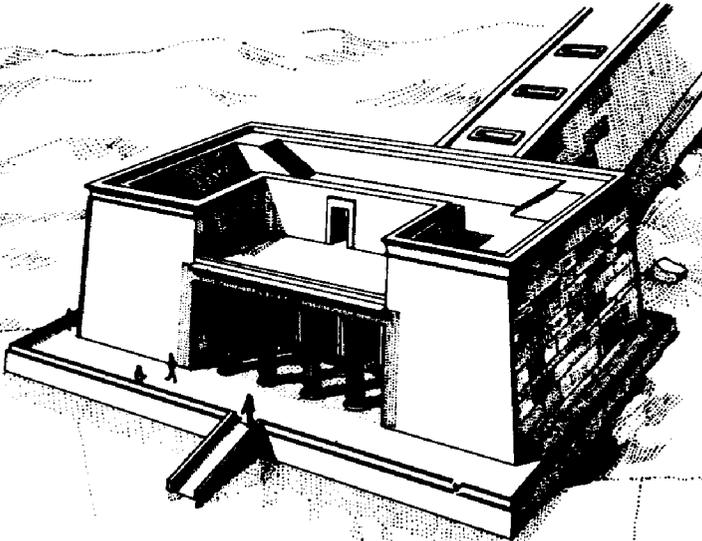
وقد استغل المهندس الذى وضع تصميم هذا المعبد طبيعة الأرض بطريقة بارعة. فقد صمم بناء المعبد وبناء ملحقاته من المنشآت الأخرى على مستويين يرتفع أحدهما عن المستوى الآخر، وربط هذين المستويين بطريق صاعد.

(٢٩) يعتبر الملك «نى وسرع» من ملوك الأسرة الخامسة المهمين، ويبدو أنه كان محارباً، حيث ترك لنا لوحة تذكارية باسمه فى وادى مفارة بسيناء، يظهر فيها وهو يؤدب الآسيويين، وكتب تحت اسمه نصاً مفاده: «قاهر الآسيويين من كل الأقطار». كما أن جدران معبد هرمه فى أبو صير تتضمن نقوشاً تسجل انتصاراته على كل من الليبيين والسوريين. وقد عرفنا اسمى اثنتين من زوجاته هما «ختى خوى» و«نبت». واسمى اثنتين من بناته هما «خع مر نيتى» و«مرتاتس». ويقول بعض المؤرخين أن الحكيم «بتاح حتب» هو ابن لهذا الملك، وهو رأى خاطيء لا سند له [الترجم].

(٣٠) تقع «أبو غراب» على بعد نحو ١,٥ كيلو متر إلى الشمال من بلدة «أبو صير» بمحافظة الجيزة. وبها معبد الشمس الذى بناه الملك «نى ويسر رع» وقام عالما المصريات لودفيج بورخارت وهايزريش شيفر خلال الأعوام ١٨٩٨ - ١٩٠١ م بعمل حفائر أثرية فى هذا المعبد لتحديد كل مابقى من عناصره ومكوناته ومنشأته [الترجم].

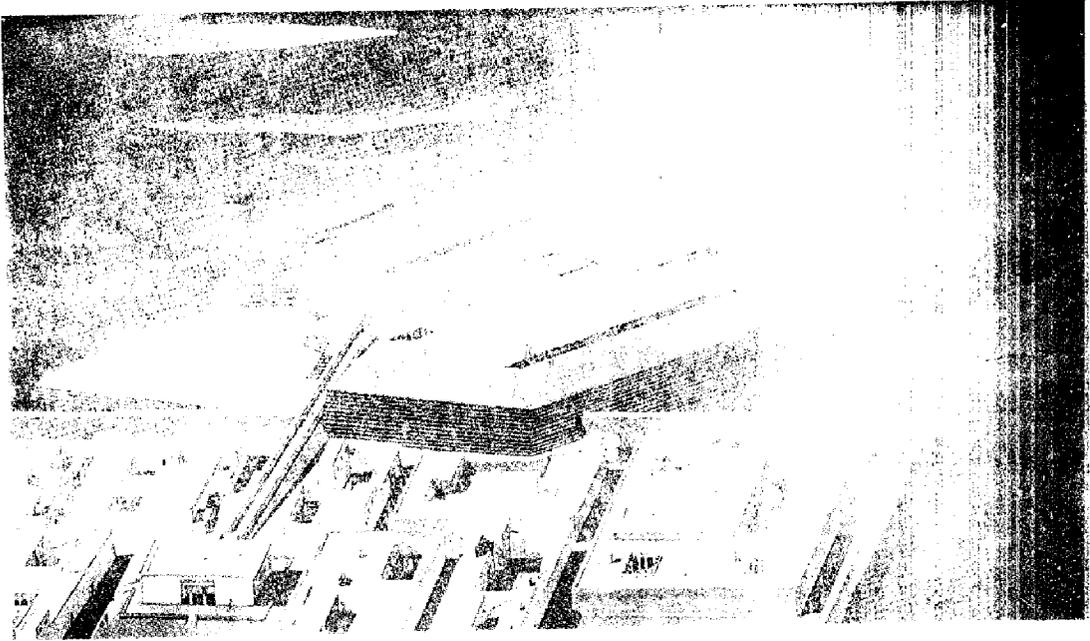
وحرم المعبد الذى يشغل المستوى السفلى محاط بسور يبلغ طوله ٣٣٠ قدماً [نحو ١٠٠,٥٨ متر] ويبلغ عرضه ٢٥٠ قدماً [نحو ٧٦ متراً]. ويضم هذا الحرم السفلى مجموعة من المخازن وغرف الإدارة تصل بينها مجموعة من الممرات نحتت على جدرانها نقوش ومناظر بديعة. وفى الساحة العليا من المعبد كانت تقام الطقوس والمراسم الخاصة بعبادة الشمس أمام مسلة غليظة ضخمة أقيمت فوق قاعدة مرتفعة. وعلى مسافة قريبة جنوب السور المحيط بالمستوى العلوى للمعبد، استخدمت قوالب الطين فى بناء أحد مراكب الشمس التى كان من المعتقد أن الإله رع يستقلها فى رحلته اليومية عبر السماء [الصورة ٩٢].

والجدير بالملاحظة أن معابد الشمس والمباني والمنشآت المعمارية التى بناها ملوك الأسرة الخامسة قد استخدم فيها حجر الجرانيت الوردي بكثرة، خصوصاً فى بناء الأعمدة الضخمة التى كانت تأخذ شكل النخيل أو شكل حزم سيقان البردى، مما أضفى الكثير من ملامح الرقة والحياة على عمارة هذه المنشآت [الصورة ٩٣]. وقد يرجع ذلك إلى التأثير بأسلوب مجموعة زوسر الهرمية بسقارة، بالنظر إلى أن هرمين من أهرام تلك الأسرة قد بنيا بالقرب من تلك المجموعة.



(٩١)

الصورة (٩١)
رسم متخيل لما كان عليه معبد
الوادى الخاص بهم «ني ويسر
نخ» [٢٤٢٠ ق م] ومن خلفه
يبدأ الطريق الصاعد الذى
يربط معبد الوادى بالمعبد
الجنازى الملاصق للهرم.
• الرسم مأخوذ عن: بورشارد.



(٩٢)

الصورة (٩٢)

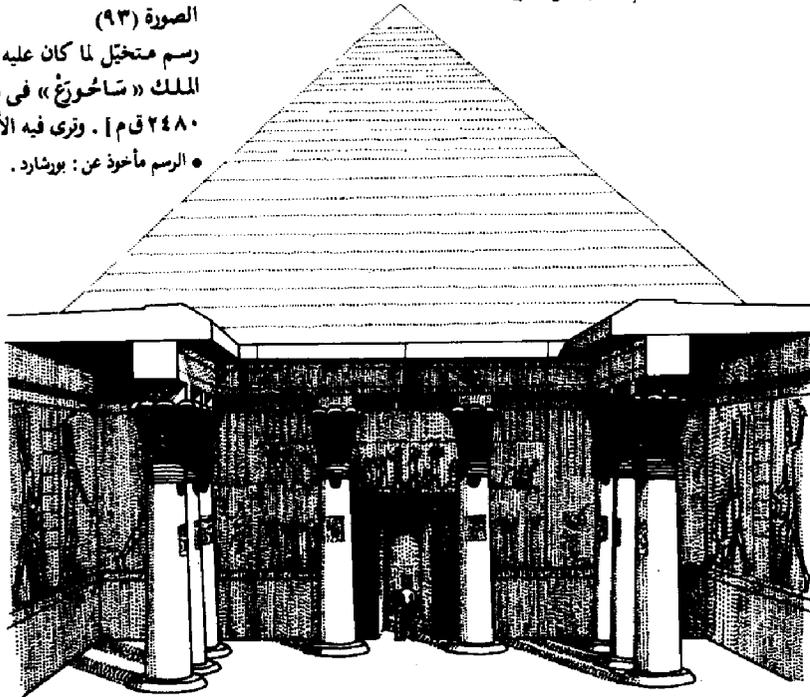
رسم متخيل لما كان عليه أحد معابد الشمس التي أقامتها الأسرة الخامسة بمنطقة هليوبوليس. والمعبود الذى يبدو فى هذا الرسم بناه الملك « نى وسرع » فى منطقة أبو غراب. وقد استغل المهندس الذى أشرف على بناء هذا المعبد طبيعة الأرض التى أقيم عليها، فوضع تصميم المعبد وملحقاته على مستويين يرتفع أحدهما عن الآخر، ويصل بينهما طريق صاعد. وقد بنى حرم المعبد فى المستوى السفلى من الأرض، وهو محاط بسور طوله ٣٣٠ قدماً [نحو ١٠٠,٥٨ متر] وعرضه ٢٥٠ قدماً [نحو ٧٦ متراً] ويضم هذا الحرم غرف الإدارة والمخازن وبينها ممرات نحتت على جدرانها الكثير من النقوش والمناظر. أما الطقوس والمراسم الخاصة بعبادة الشمس فكانت تجرى فى الساحة العليا للمعبد حيث أقيمت مسلة غليظة ضخمة فوق قاعدة مرتفعة. وبجوار المعبد وخارج أسواره، نلاحظ وجود أحد مراكب الشمس، وقد بنى من قوالب الطين، وهو يرمز إلى المركب الذى كان يستقله إله الشمس رع فى رحلته اليومية عبر السماء.

• الرسم مأخوذ عن: بوشارد.

الصورة (٩٣)

رسم متخيل لما كان عليه جزء من المعبد الجنائزى الخاص بهرم الملك « ساسوحورخ » فى منطقة أبو صبر [الأسرة الخامسة عام ٢٤٨٠ ق م]. وترى فيه الأعمدة التى تأخذ شكل التخييل.

• الرسم مأخوذ عن: بوشارد.



(٩٣)

● هرم إيسيسى:

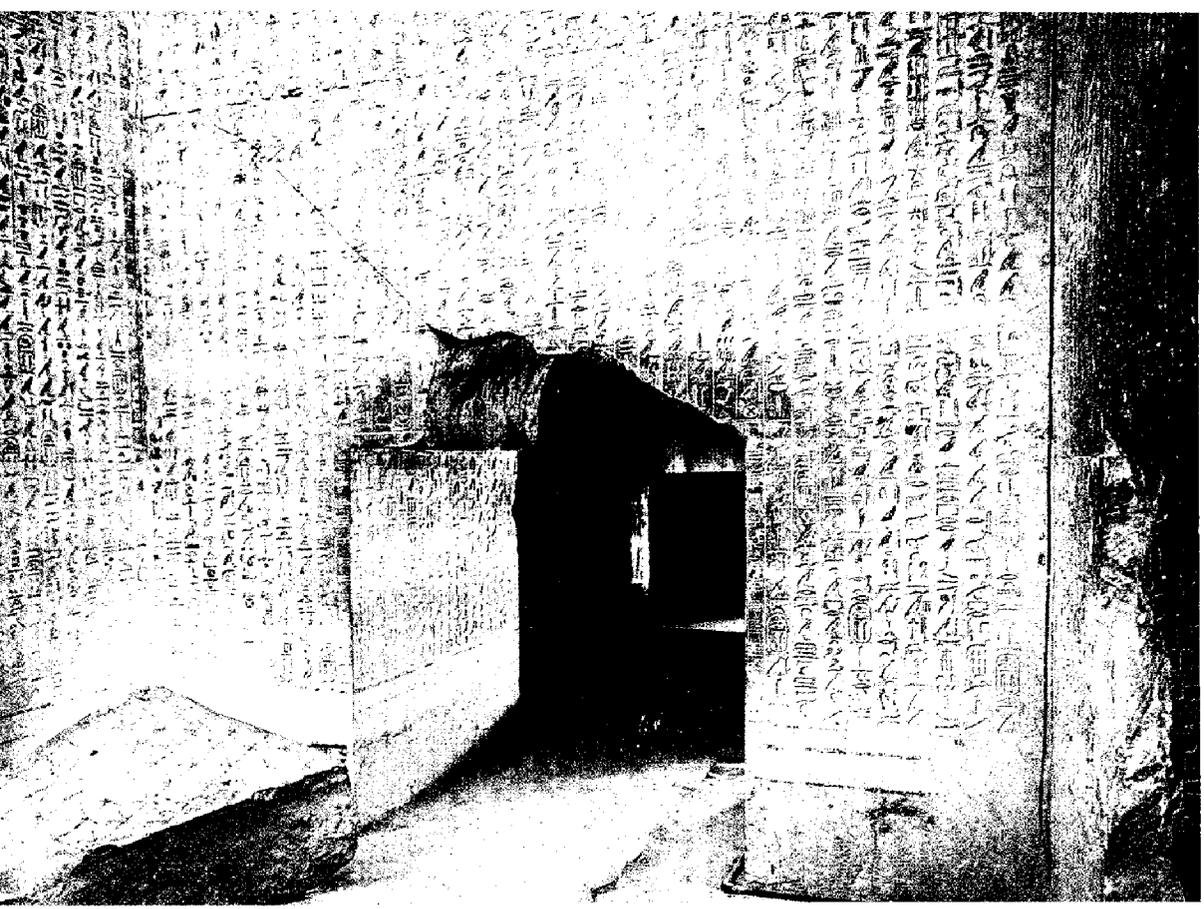
وأحد هذين الهرمين بناه الملك «دِچِدْ كَارِخْ إيسيسى» (٣١) فى منطقة غرب سقارة. وقد تم العثور على عدة مئات من الكسرات الحجرية المنقوشة والمنحوتة أثناء إجراء الحفائر بمنطقة هذا الهرم. وقد اكتشف معبده الجنائزى عام ١٩٤٦ وتأكد بهذا الكشف انتساب هذا الهرم ومجموعته للملك «دِچِدْ كَارِخْ إيسيسى» حيث لم يكن معروفاً قبل هذا الكشف اسم صاحب هذه المجموعة الهرمية.

● هرم ونيس ومتون الأهرام:

أما الهرم الثانى فقد بناه الملك «ونيس» (٣٢) على بعد مسافة قصيرة من الزاوية الجنوبية الغربية للسور المحيط بمجموعة زوسر الهرمية بسقارة. ومن المؤسف أن هذا الهرم مخرب تخريباً شديداً ولا يزيد ارتفاعه عن ٦٢ قدماً [حوالى ١٨,٨٩ متراً] ويطنى عليه تماماً وجود الهرم المدرج الهائل بالقرب منه. وكان العالم ماسبيرو هو أول من دخل إلى هذا الهرم فى العصور الحديثة. وقد أذهل هذا الكشف الحديث كل المهتمين بالآثار المصرية القديمة. فقد كان من

(٣١) استمر حكم الملك «دِچِدْ كَارِخْ إيسيسى» حوالى ٢٨ عاماً. وكان عصره حافلاً وتميزاً بالحملات التى كان يرسلها إلى بلاد النوبة وبلاد بونت. والبعثات التى كان يرسلها إلى وادى الحمامات وإلى سيناء تحت قيادة ضابط اسمه «نِى عَنخْ خِثِى خِتْ» وهو أول ضابط قائد حملة يذكر اسمه فى ذلك العصر. وقد عاش فى عصره الحكيم المصرى العظيم «بِتَاحْ حِتْبْ» صاحب التعاليم المشهورة، بل وهو الذى أشرف على تربية الملك وتعليمه [المترجم].

(٣٢) يعتبر الملك «ونيس» من الناحية التاريخية آخر ملوك الأسرة الخامسة. واستمر حكمه نحو ٣٠ عاماً. وقد دخل ماسبيرو هرمه بسقارة سنة ١٨٨١م، حيث عثر بداخله على متون الأهرام. كما قام بتنظيف وتحديد مسار الطريق الصاعد الذى كان يربط بين المعبد الجنائزى ومعبد الوادى. وقد صورت به مناظر رائعة جنائزية ودينية، لعل أهمها منظر للزراف الذى لم يعثر على أى منظر له فى نقوش الدولة القديمة. وكذا منظر السفن النيلية الضخمة وهى محملة بأعمدة الجرانيت التى كتب عليها بالهيروغليفية «أعمدة الجرانيت التى أحضرت من أسوان» الأمر الذى يفهم منه أن هذه الأعمدة قد صنعت وجهزت فى أسوان، ونقلت بالسفن لتكون جاهزة للتركيب فى أماكنها فور وصولها. كما وجدت أيضاً مناظر لسفن بحرية ضخمة عليها أسرى آسيويين من مناطق سوريا، الأمر الذى يدل أيضاً على وجود شكل من أشكال السيطرة المصرية على هذه المناطق فى عصر الملك ونيس. وقد آثرنا أن نكتب إسم «ونيس» طبقاً لنطق العلامات الهيروجليفية التى تدل على إسمه. وقد اشتهر هذا الملك أيضاً باسم «أوناس» وهو الإسم الشائع [المترجم].



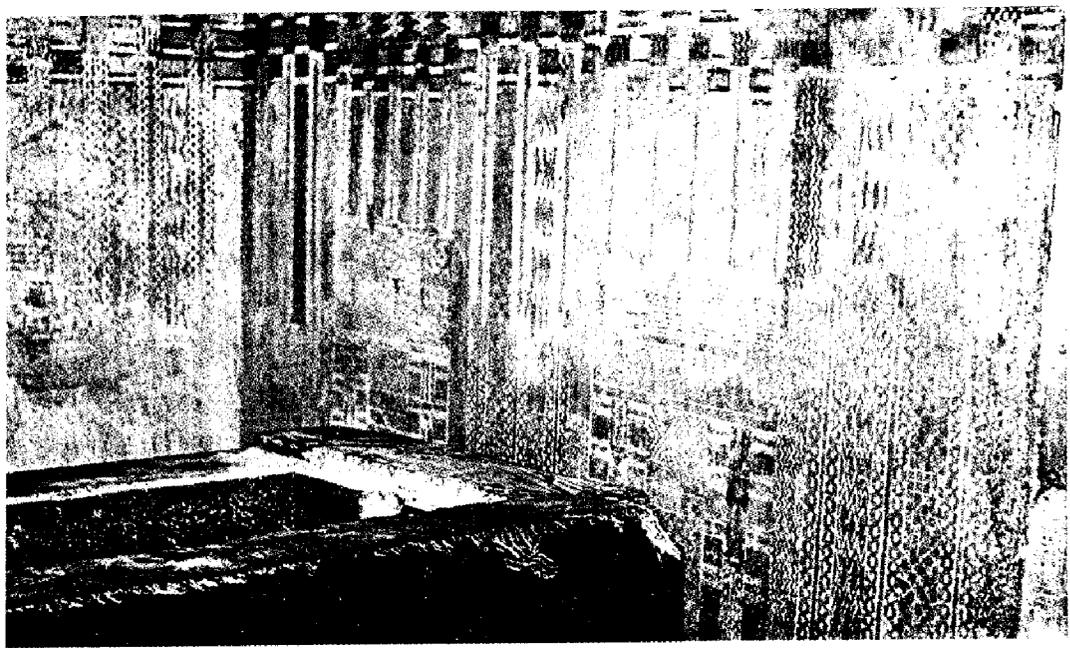
(٩٤)

الصورة (٩٤)

الركن الشمالي الشرقي لغرفة الدفن بداخل هرم « ونيش » أو « أوتاسن » بسقارة . ونلاحظ أن جدران الغرفة ومدخلها مغطاة كلها بكتابات هيروغليفية مكتوبة على أعمدة رأسية ، وملونة باللون الأزرق . وهذه الكتابات هي ما تسمى «نصوص أو متون الأهرام» . وهي النصوص التي وجدت على جدران غرف الدفن بعدد كبير من الأهرام التي بناها ملوك الأسرة السادسة . أما النصوص التي تظهر في هذه الصورة فيرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الخامسة . ولذلك فهي تعتبر من النماذج المبكرة لهذه النصوص ..
• تصوير: بيتر كلايتون .

المعتقد حتى تلك اللحظة أن جميع الأهرام خالية تماماً من النقوش . وقد فوجيء ماسبيرو بأن غرفة الدفن بهرم ونيش وجدران دهليزه الداخلي مغطاة بكتابات هيروغليفية ، وهي ما سميت فيما بعد باسم «متون الأهرام» [الصورة ٩٤] .

وبالرغم من العثور بعد ذلك على الكثير من متون الأهرام في عدد من الأهرام التي بناها ملوك الأسرة السادسة ، إلا أن المتون التي وجدت بداخل هرم ونيش ظلت أقدم النماذج التي عثر عليها حتى الآن .



(٩٥)

الصورة (٩٥)

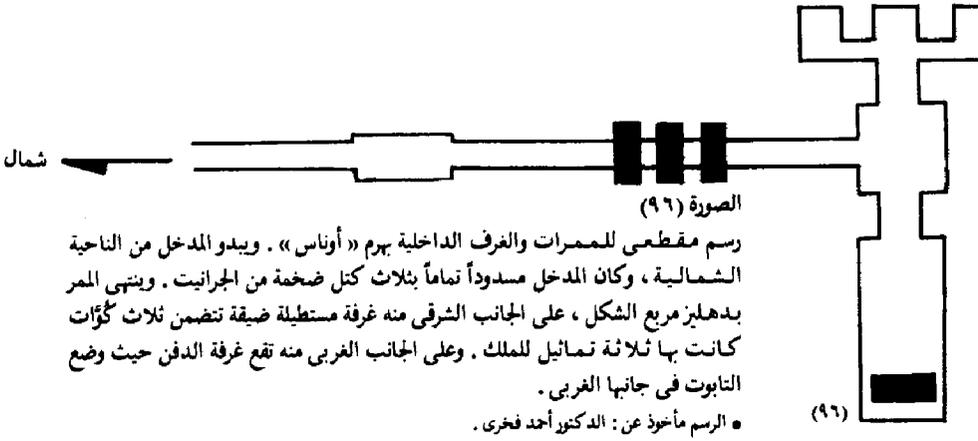
الركن الشمالى الغربى لفرقة الدفن بداخل هرم «وينس» أو «أوناس» [الأسرة الخامسة عام ٢٣٥٠ ق م]. ويظهر فى الصورة جزء من التابوت الضخم المستطيل الشكل والمصنوع من الحجر الأسود والموضوع بجوار الحائط. ونلاحظ أن جدران حجرة الدفن فى هذا الركن مزينة بزخارف محفورة وملونة وتمثل الشكل التقليدى للباب الوهمى. وهى مبنية من الألبستر بعكس بقية الجدران الأخرى بالحجرة فهى مبنية من الحجر الجيرى.

• تصوير: بيتر كلايتون.

وقد بنيت الغرف الداخلية بهرم ونيس بالحجر الجيرى المستجلب من منطقة طرة بشرق النيل، فيما عدا الجانب الغربى من حجرة الدفن فقد بنى بالمرمر. وقد حفر على هذا الجانب تصميم لباب وهمى ملون. أما بقية جدران الحجرة فقد نقشت جميعها بحفر كتابات هيروغليفية لونت باللون الأزرق الذى أعطاها طابعاً بارزاً بالنسبة للأرضية البيضاء التى كتبت عليها [الصورتان ٩٥، ٩٦].

ومتون الأهرام عبارة عن مجموعة من الأدعية والتراتيل والتساويح والتعاويذ السحرية. وبالرغم من أنها ترجمت إلى لغات حية مختلفة، إلا أن بعض معانيها مازالت تتسم بطابع الغموض. أما الغرض المستهدف من كتابة متون الأهرام فهو ضمان تمجيد وسعادة الملك فى حياته فى الدار الآخرة. وكان من المعتقد أن القوى السحرية للكلام المكتوب تضمن تحقيق هذا الهدف.

ونظراً لأن الكثير من الكلمات أو العلامات الهيروغليفية تتضمن رسوماً لأشكال بشرية أو حيوانية، فقد ظهر الاعتقاد فى أن من الخطر وجود مثل هذه



الأشكال البشرية أو الحيوانية بجوار الملك المتوفى وبجيرة الدفن بداخل مقبرته . لذلك فقد عمد الرسام أو الكاتب إلى تشويه الأشكال البشرية برسمها مبتورة الأذرع أو مبتورة السيقان ، أو رسم العلامات التي تتضمن أشكالاً حيوانية بطريقة تظهر الحيوان في حالة من البلادة أو فقدان الوعي .

وقد تم حصر أكثر من سبعمائة (٣٣) تعويذة من التعاويذ السحرية التي تضمنتها متون الأهرام ، أما هرم ونيس فلم يتضمن سوى مائتين وثمان وعشرين تعويذة من تلك التعاويذ .

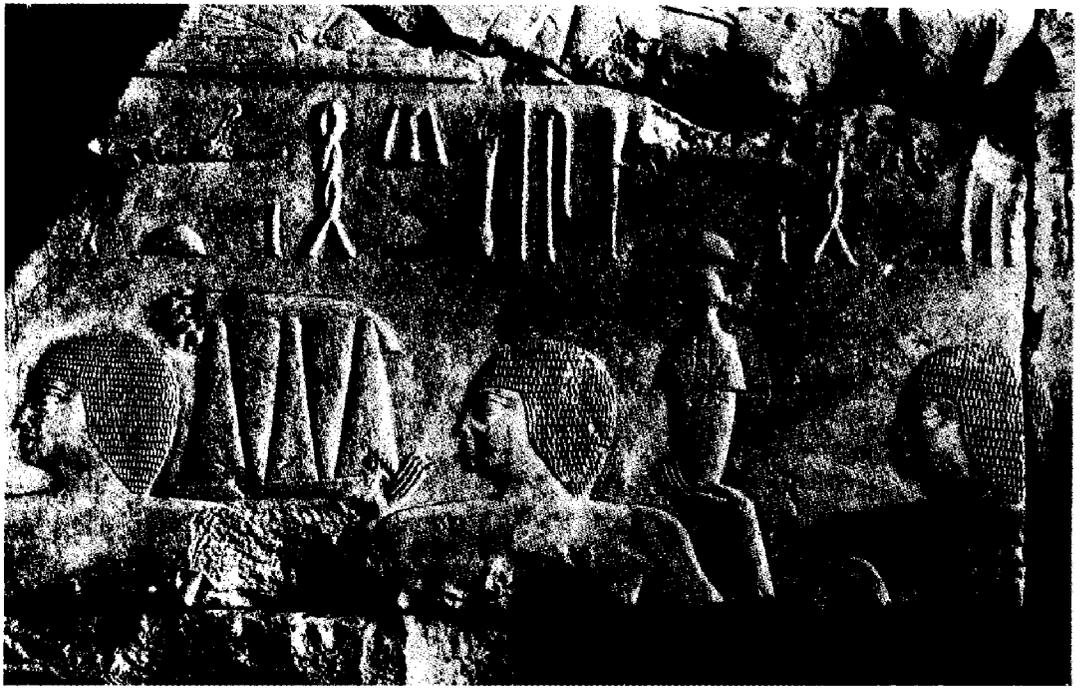
هذا ومن الملاحظ بصفة عامة أن أسلوب الأسرة الرابعة في استخدام كتل الجرانيت المصقولة وكتل البازلت والمرمر في أعمال البناء استمر تطبيقه أيضاً في المباني والمنشآت التي تمت في عصر الأسرة الخامسة .

● أهرام الأسرة السادسة :

تدل الشواهد الأثرية التي عثر عليها أو اكتشفت حتى الآن ، على أن عصر الأسرة السادسة لم يتضمن أى تغيير متميز فى أسلوب العمارة الذى ساد فى عصر الأسرة التى سبقتها .

وكان آخر الآثار الضخمة التى يرجع تاريخها إلى السنوات الأخيرة فى عصر الدولة القديمة هو الهرم أو المجموعة الهرمية التى بنيت فى عهد الملك «ببسى

(٣٣) عددها بالضبط ٧١٤ متا [المترجم] .



(٩٧)

الصورة (٩٧)

نقش على الحجر الجيري من أحد جدران المعبد الجنائزي للملك بيبي الثاني [من الأسرة السادسة] يظهر فيه مندوبو الأقاليم وهم يقدمون الهدايا من منتجات أقاليمهم. ونلاحظ أن تحت الوجوه والعلامات المبروجليفيه قد بلغ قبة عالية في عصر الدولة القديمة. محفوظ بالمتحف المصري بالقاهرة.

الثاني» (٣٤). وتؤكد لنا هذه المجموعة الهرمية استمرار حرص الفنان والمعماري المصري على استلهام أسلوب الأعمال الفنية والمعمارية التي سبقه إليها أجداده، بالرغم من طابع الشكلية والتقليد الذي ظهر واضحاً في مباني ومنشآت تلك الأسرة [الصورة ٩٧].

وقد لوحظ أن بعض أعمال النقش التي عثر عليها ضمن آثار المجموعة الهرمية للملك بيبي الثاني تعتبر تقليداً لأعمال قديمة يرجع تاريخها إلى عصور سابقة. وعلى سبيل المثال فقد عثر على نقش يبين منظراً للملك بيبي الثاني وهو يضرب

(٣٤) تولى الملك «نِفِرْ كَارَاحْ بيبي الثاني» عرش مصر وعمره لا يتجاوز ست سنوات، وظل يحكم لمدة ٩٤ سنة متواصلة، وتميزت الفترة الأولى من حكمه بكثرة البعثات الكشفية والحملات العسكرية التي أرسلتها مصر إلى بلاد النوبة وإلى أواسط أفريقيا وإلى مناطق سواحل البحر الأحمر. وفي أواخر عهده بدأ الضعف يتسلل إلى نظام الحكم، وكثرت غارات البدو على البلاد، وازدادت المنافسة والفتن والحروب بين حكام المقاطعات، وعمت الفوضى وشاع الانحلال الذي أدى في النهاية إلى سقوط الدولة القديمة وانتهاء عصرها [الترجم].

بدبوسه رأس أحد الأسرى من الرؤساء الليبيين. وتبين أن هذا النقش عبارة عن صورة طبق الأصل لنقش على أحد جدران المعبد الملحق بهرم الملك «ساحورع» [من ملوك الأسرة الخامسة]. وقد نقل الفنان الذى نقش منظر الملك بيبى الثانى جميع عناصر لوحة الملك «ساحورع» خطأً بخط، كما نقل أسماء الأسير الليبيى هو وزوجته وأولاده المكتوبة على لوحة الملك ساحورع (٣٥).

ومن المحتمل أن مثل هذه الطريقة فى النقل والتقليد تؤكد لنا احتمال أن تكون لوحة الملك ساحورع نفسها تقليداً منقولاً عن أصل أكثر قدماً، قد يرجع تاريخه إلى واقعة رمزية حدثت فى العصر العتيق أو فى بداية عصر الأسرات.

أما الشيء الغريب الذى يميز هرم بيبى الثانى عن غيره من أهرام أسلافه، فهو هذا السور الذى يحيط بقاعدته ملاصقاً لها، والذى كان فى الأصل يرتفع إلى المدماك الثانى أو ربما المدماك الثالث لهذا الهرم. وتدل الشواهد على أن سبباً طارئاً قد دعا بنائى الهرم إلى إقامة هذا السور، وقد استعملوا فى بنائه أحجاراً مفكوكة من مباني ومنشآت معمارية أخرى أقدم عهداً كانت موجودة فى نفس المنطقة أو بقربها. ويحيط هذا السور بجميع جوانب الهرم فيما عدا جزءاً من الجانب الشرقى حيث كان يوجد المعبد الجنائزى الخاص بالهرم ملاصقاً لواجهته الشرقية.

وحتى الآن لم يعرف السبب الحقيقى لبناء هذا السور بمثل هذه الطريقة على نحو قاطع أو مقنع. وقد قيلت فى تبرير ذلك آراء عدة، لعل أقربها إلى الصواب هو أن السور قد بنى فى الأصل لزيادة قدرة الهرم على التماسك والثبات، ربما بعد حدوث زلزال هز كتلة الهرم أثناء بنائه، أو ربما بعد أن اكتمل.

(٣٥) يعتبر الملك «ساحورع» من الناحية التاريخية ثانى ملوك الأسرة الخامسة. ومن المحتمل أن يكون أياً للملك «ويسر كات» أول ملوك هذه الأسرة، وتولى العرش بعد وفاته. ويعتبر ساحورع من الملوك المحاربين، فقد عثر فى سيناء على لوحة تمثله وهو يلبس تاج الوجه القبلى ويقوم بتأديب الآسيويين. كما عثر له على نقش فى بلدة اسمها توماس تقع جنوب الجندل الأول بالنوبة، الأمر الذى يدل على أنه قد وسع الحدود الجنوبية للبلاد. وعثر كذلك فى معبد الشمس الذى أقامه فى «أبوصير» على نقوش تدل على أنه أرسل اسطولاً إلى لبنان لاحتجلاب أخشاب الأرز، وأرسل اسطولاً آخر إلى بلاد بونت عاد حاملاً ٨٠ ألف مكيال من العطور و٦ آلاف مكيال من الذهب و٢٦٠٠٠ عصا من الأبنوس. كما وجدت نقوش أخرى تصور إحدى معاركه ضد الآسيويين وكيفية سير المعركة الحربية التى انتهت بتدمير قلعة الآسيويين واستسلام جيشهم وعودة الجيش المصرى منتصراً [الترجم].